﴿ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾

المهندس عدنان الرفاعي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ

الفهم الخاطئ لأيِّ نصٍّ قرآني [أو أيِّ كلمة قرآنيّة] تترتّبُ عليه مفاهيمُ خاطئة تتعلّق بها أحكامٌ خاطئة ، من العقيدة إلى الفقه .. والمعيار السليم لمعرفة الفهم السليم من الفهم الخاطئ هو اتّباع قواعد لسان كتاب الله تعالى [المستنبطة أصلاً من كتاب الله تعالى] وذلك بمنهجيّة علميّة سليمة ، تأخذ بالاعتبار ما يحمله النصُّ القرآني ، بجملته .. وقد بيّنت [في أبحاثي وبرامجي] الكثير من فساد الأحكام المترتّبة على الأفهام الخاطئة نتيجة الابتعاد عن حقيقة ما يحمله كتابُ الله تعالى من دلالات ..

سنقف عند دلالة كلمة ﴿ مُصَدِّقٌ ﴾ في كتابِ اللهِ تعالى .. لذلك .. لا بدَّ لنا من العودة إلى مشتقّات الجذر [ص ، د ، ق] ولا بدَّ لنا مِن اتّباع قواعد لسان كتاب الله تعالى ، ولا بدَّ لنا من الوقوف عند تصريف مشتقّات هذا الجذر ..

القول بأنَّ كلمة ﴿ مُصَدِّقٌ ﴾ تعني : مُوافِق ومُؤكِّد لِكلّيّة الْمُصَدَّق بكلِّ جزئيّاته ، كما يعتقد الكثيرون من أتباع الموروث ومن أَتباع إسقاط المعنى الوضعي الاصطلاحي على دلالات كلمات كتاب الله تعالى .. هذا القول ، غير صحيح .. وهذا ما سنبيّنه [إن شاء الله تعالى] في هذا البحث ..

المصدر هو كلمة : ((صِدْق)) ، نقول : صَدَقَ يَصدقُ صِدْقاً ، فالمصدر : ((صِدْق)) ... ومن المعلوم أنَّ صيغة المصدر شاملة : فالصِّدقُ هو الحقُّ مُطابقةً للواقع ، خُلواً من أيِّ كذب أو تدليس ، خلواً من أيِّ باطل .. وهذا ما نراه جلياً في الآيات الكريمة التالية الحاملة لصيغة المصدر هذه : ﴿ صِدْق ﴾ :

﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴾

[يونس : ٢]

﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾

[يونس : ٩٣]

﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴾ [الإسراء : ٨٠]

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ [مريم : ٥٠]

﴿ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴾ [الشعراء : ٨٤]

﴿ ۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾

[الزمر : ٣٢ – ٣٣]

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴾

[الأحقاف : ١٦]

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾

[القمر : ٥٤ – ٥٥]

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾

[الأنعام : ١١٥]

﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾

[المائدة : ١١٩]

﴿ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾

[الأحزاب : ٨]

﴿ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٢٤]

.. الفعل الثلاثي ﴿ صَدَقَ ﴾ تتعلّقُ دلالته بالصَّادقُ ذَاته ، خُلوّاً من أيِّ كذب وأيِّ تدليس .. يعني : الصّادق بذاته وافقَ الحقَّ دون أيِّ باطل .. لننظر في الآيات الكريمة الحاملة للفعل الثلاثي ﴿ صَدَقَ ﴾ لنرى ذلك بأُمِّ أعيننا :

﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾

[آل عمران : ٩٥]

﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٢٢]

﴿ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾

[يس : ٥٢]

﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح : ٢٧]

﴿ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [يوسف : ٢٦]

﴿ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [النمل : ٢٧]

﴿ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [المائدة : ١١٣]

﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٥٢]

﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ [الزمر : ٧٤]

﴿ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأنبياء : ٩]

﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٧٧]

﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [التوبة : ٤٣]

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت : ٣]

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب : ٢٣]

﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ [محمّد : ٢١]

واسم الفاعل للثلاثي ((صَدَقَ)) هو كلمةُ ﴿ صَادِق ﴾ على وزن [فاعِل] .. فالصّادِق هو الخالي من الكذب ومن التدليس ومن أيّ باطل :

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾ [مريم : ٥٤]

﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴾ [الذاريات : ٥]

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ [غافر : ٢٨]

.. ومن المعلوم أنَّ الثلاثي : [**فَعَلَ**] ، يتعدَّى إلى رباعي ، بسبيلين :

١ – يتعدَّى بالهمزة ليصبح : [**أَفْعَلَ**] حيث اسم الفاعل له هو : [**مُفْعِل**] .. واسم المفعول له هو : [**مُفْعَل**] .. وصيغة المصدر له هي : [**إِفْعَال**] .. وهمزة التعدّي هذه تُغيّر جهةَ المعنى ما بين الثلاثي [**فَعَلَ**] والرباعي المتعدّي بها [**أَفْعَلَ**] .. مثلاً : في الثلاثي [**خَافَ**] نقول : [**خاف زيدٌ عادلاً**] .. هنا الفاعل [**زيد**] هو مَن تملكه الخوف من المفعول به [**عادل**] ، وبدخول همزة التعدّي ينقلب المعنى .. نقول : [**أخافَ زيدٌ عادلاً**] ، هنا : المفعول به [**عادل**] هو مَن تملّكه الخوف من الفاعل [**زيد**] .. وكنّا قد وقفنا عند هذا الأمر أكثر من مرّة .. وقفنا عنده حينما تعرَّضنا لدلالات كلمة : ﴿ **يُطِيقُونَهُۥ** ﴾ في قوله تعالى : ﴿ **وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ** ﴾ [البقرة : ١٨٤] وبيّنّا أنَّ همزة التعدّي هذه غيّرت جهةَ المعنى ما بين الثلاثي ((**طَاق**)) والرباعي المتعدّي بها ((**أطاق**)) .. فالثلاثي ((**طَاق**)) يعني : تحمَّلَ ، ومضارعه ((**يَطُوق**)) [مثل : ذاقَ ، يذوق] وكلمة ((**يَطُوق**)) تعني : يَتحمَّل ويقدر .. وهمزة التعدّي في الرباعي المتعدّي بالهمز : ((**أَطاق**)) نقلت هذا التحمّل إلى خارج قدرةِ الذات ، ليكون هذا التحمّل فوقَ قدرةِ الذات ، ومضارعه : ((**يُطيق**)) [مثل : أذاقَ ، يُذيق] و كلمة ((**يُطيق**)) بمعنى : لا يتحمَّل ولا يقدر ولا يستطيع ..

وهنا في موضوعنا : الفعل الثلاثي [**صَدَقَ**] يتعلّق بالصِّدق الذي تتصف بـه ذاتُ الصّادق بشكلٍ مجرّدٍ عن أيِّ ذاتٍ أُخرى أو أمرٍ آخَر .. وبـدخول همـزة التعدّي يصبحَ الفعل : [**أَصْدَقَ**] ، حيث مصدره هو : [**إصْـدَاق**] ، واسـم الفاعل هو : [**مُصْدِق**] واسم المفعول هو : [**مُصْدَق**] .. ففي حين أنَّ الصَّادق يُوصف – هو ذاته – بالصِّدق ، فإنَّ ال [**مُصْدِق**] يجعل وصفَ الصِّدق مُتعلّقاً بذات أُخرى هي ذات ال [**مُصْدَق**] ... يعني : ال [**مُصْدِق**] يصـفُ ذات ال [**مُصْدَق**] بالصّدق .. أنا هنا أتكلّم عن الصيَغة الفعليّة [**أَصْدَقَ**] كفعلٍ ماض ، ولا أتكلّم عن اسم التفضيل كصيغة اسميّة : [**أَصْدَق**] كاسم تفضـيل بمعـنى : الأكثر صدقاً ..

.. وفي كتاب الله تعالى لم ترد الصيغة الفعليّة للرباعي المتعدّي بالهمز [**أَصْدَقَ**] .. وما يرد هو اسم التفضيل : ﴿ **أَصْدَق** ﴾ :

﴿ **وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا** ﴾ [النساء : ٨٧]

﴿ **وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا** ﴾ [النساء : ١٢٢]

٢ – الثلاثي [**فَعَلَ**] يتعدّى بالتضعيف ليكون بالصيغة [**فَعَّلَ**] .. وبالنسبة للثلاثي ((**صَدَقَ**)) فإنَّ الرباعي المتعدّي بالتضعيف له هو : ﴿ **صَدَّقَ** ﴾ ... والرباعي المتعدّي بالتضعيف : [**صَدَّق**] ، يصوّرُ لنا وصفاً يُطلقُه اسمُ الفاعل ال : [**مُصدِّق**] على اسم المفعول ال [**مُصَدَّق**] ... وكنَّا قد وقفنا عند الفارق بين دلالات الرباعي المتعدّي بالهمز [**أَفْعَلَ**] والرباعي المتعدّي بالتضعيف [**فَعَّل**] وذلك في بحث : [**براءة النبي**] ، حينما تناولنا فارق الدلالة بين الرباعي المتعدّي بالهمز : [**أَنْبَأَ**] والرباعي المتعدّي بالتضعيف : [**نَبَّأَ**] .. وأقتبس من بحث : [**براءة النبي**] السطور التالية لبيان هذا الأمر :

]]]]]]]]] ... ولو عدنا إلى كتاب الله تعالى لرأينا أنَّ كلمة [**نَبَّأ**] على وزن [فَعَّل] تعني الإخبارَ عن الأمر بدخولٍ في حَيثيّاته ، وبالإخبار عن مَكنوناته

، بمعنى : ليست فقط للإخبار عن ظاهره ، وإنّما للإخبار عن ظاهرة وعن حيثيّاته .. ولذلك رأينا كيف أنَّ العبارة القرآنيّة ﴿ فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ ﴾ ترد فيها كلمة : ﴿ نَبَّأَتْ ﴾ متعلّقةً بالزوجة التي نَقَلَتْ خَبَرَ هذا السرِّ عبرَ ما أدركته وبدخولٍ في عُمقَيه الظاهر والباطن ، بمعنى : نَقَلَتْ خبرَ هذا السرِّ حسب ما أدركت ، ونَقَلَتْ تأويلَهُ حسب ما أدركت .. ولذلك رأينا كيف أنَّ النبيَّ عليه السلام عرَّف بعضَ ما نبَّأت به وأعرض عن بعضه ..

.. ولو تتبّعنا في كتاب الله تعالى الصِّيغ المختلفة لكلمة [نَبَّأ] لرأينا ذلك .. ومن هذه الصيغ :

﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة : ٦٤]

﴿ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ ﴾ [التوبة: ٩٤]

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس : ١٨]

﴿ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّى ۚ ﴾ [يوسف : ٣٦ – ٣٧]

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴾ [يوسف : ٤٥]

﴿ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [لقمان : ١٥]

﴿ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ [القيامة : ١٣]

.. بينما كلمة [أَنْبَأَ] على وزن [أَفْعَل] نراها تأخذ جانبَ نقلِ الخبر دون الدُّخول في تأويله ، كالإنباء عن اسم الشيء دون الدخول في عُمقه الباطن ..

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [البقرة : ٣١ – ٣٣]

.....]]]]]]]]]] .. انتهى الاقتباس ..

وفي بحث [وكانوا لا يستطيعون سمعاً] وقفنا عند الفارق بين دلالات الرباعي المتعدّي بالهمز ((أوْصَى)) وبين دلالات الرباعي المتعدّي بالتضعيف ((وَصَّى)) .. وفيما يلي اقتباس من بحث [وكانوا لا يستطيعون سمعاً] فيما بذلك :

[[[[[[[[[[.. لو عدنا إلى كتاب الله تعالى ، لرأينا أنَّ الفعل المتعدّي بالتضعيف : (وَصَّى) يفيد طلبَ الالتزام بمسألةٍ مَعروفة مُسبقاً [بحيثيّاتها] بالنسبة لمن يُطْلَب منهُ الالتزام بها .. بمعنى : هناك مسألة معلومة يعلمُها من يُطلَب منه الالتزام بها ، وتأتي دلالات الفعل (وَصَّى) لتأكيد الالتزام بها ، والمثابرة عليها ، وعدم الخروج عنها ..... ففي قوله تعالى :

﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ

تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥١ – ١٥٣]

.. نرى أنَّ العبارات القرآنيّة : [﴿ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ،،، ﴿ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ،،، ﴿ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾] ، تأتي بعد تبيان مجموعة من الأحكام ، والمطلوب هو الالتزام بهذه الأحكام (التي باتت معلومة بالنسبة لمن يُوصِّيهم الله تعالى بالالتزام بها) والمثابرة عليها ، وعدم الخروج عنها ..

.. وهذا ما نراه في قوله تعالى ..

﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴾ [النساء : ١٣١]

﴿ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ ۗ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَٰذَا ۚ ﴾ [الأنعام : ١٤٤]

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۚ ﴾ [العنكبوت : ٨]

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ [لقمان : ١٤]

﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚ ﴾ [الشورى : ١٣]

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ۚ ﴾ [الأحقاف : ١٥]

.. وهذا المعنى يتجلّى معنا في الآية الكريمة التي نحن بدراستها ..

﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٢]

.. فالذي وصّى به إبراهيمُ عليه السلام بنيه ، ويعقوب عليه السلام وصّى أيضاً به بنيه ، هو قضيّة معلومة بالنسبة لبني إبراهيم ، ولبني يعقوب ، وهي : أن يُسْلِمَ الإنسانُ لربِّ العالمين ..

﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

[البقرة : ١٣١ – ١٣٢]

.. وهذه القضيّة هي ذاتها التي وصَّى بها يعقوب بنيه ..

﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾

[البقرة : ١٣١ – ١٣٣]

.. بينما الفعل : (أَوْصَى) يحمل دلالةَ الطلب بتنفيذ أمر يتلقّاهُ [مَن يُطلَب منه التنفيذ] مع هذا الطلب ، بمعنى : أنَّ الطلب مُرافق للعلم بالحكم الذي يُطلَب تنفيذه ﴿ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾

[مريم : ٣١]

.. فعيسى عليه السلام عندما قال هذه الكلمات كان في المهد ، وأوصاه الله تعالى بالصلاة والزكاة ما دام حيّاً ، مع تلقّيه الأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة .. فالأمر الإلهي بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ملازم للأمر بالالتزام بهما ما دام حيّاً ..

.. وهذا ما نراه أيضاً في قوله تعالى ..

﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ ﴾ [النساء : ١١]

.. فالحكم الإلهي ﴿ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ ﴾ يتلقّاه الإنسان مع الطلب الإلهي بالمثابرة عليه ، ولا يمكن لعاقل أن يتصوَّر بأنَّ هذا الحكم الإلهي ﴿ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ ﴾ قضيّة معرفة مسبقاً ، وما يُطلَب هو الالتزام بها .. من هنا نرى عظمة الصياغة القرآنيّة بورود كلمة ﴿ يُوصِيكُمُ ﴾ كفعلٍ مُضارع للفعل المتعدّي بالهمز (أَوْصَى) ..... وهذه الدلالة المحمولة بالفعل (أَوْصَى) نراها في العبارات التالية :

﴿ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ﴾ [النساء : ١١]

﴿ ۞ وَلَكُمۡ نِصۡفُ مَا تَرَكَ أَزۡوَٰجُكُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٞ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡنَۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِينَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡتُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّكُمۡ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَكُمۡ وَلَدٞ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكۡتُمۚ مِّنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ تُوصُونَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۗ وَإِن كَانَ رَجُلٞ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمۡرَأَةٞ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ ﴾ [النساء : ١٢]

فالوصيّة التي يُوصى بها ، تحمل تفصيلاً لها مرافقاً لطلب تنفيذها ، ولا يمكن أن يتصوَّر أحدٌ أنَّ الوصيّة أمرٌ معلومٌ مسبقاً ، وهي لطلب الالتزام بهذا الأمر المعلوم ..

.. إذاً .. كلمة ﴿ وَوَصَّىٰ ﴾ تختلف دلالاتها عن دلالات كلمة (وأَوْصَى) .. وحينما نحذف هذه الكلمة من الآية الكريمة ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٢] ، ونضع بدلاً منها كلمة (وأَوْصَى) ، فإنّنا بذلك ، نتّهم بني إبراهيم عليه السلام ،

وأيضاً [بني يعقوب عليه السلام] بأنَّهم لم يكونوا على علم بأنْ يُسْلِمَ الإنسان لله ربِّ العالمين ، وأنَّهم علموا بذلك حينما أوصاهم إبراهيم عليه السلام بهذا الأمر ..]]]]]] .. انتهى الاقتباس ..

.. ووقفنا – أيضاً – عند فارق الدَّلالة بين الرباعي المتعدّي بالهمز : [**أَنْزَل**] وبين الرباعي المتعدّي بالتضعيف : [**نَزَّل**] ، ورأينا أنَّ الإنزال كصيغة مصدر للرباعي : [**أَنزل**] يقومُ به ال [**مُنْزِل**] لنقل ال [**مُنْزَل**] من ساحةٍ لساحة ، بحيث يكون ال [**مُنْزَل**] في ساحة الإدراك وإمكانية الاستخدام في الساحة التي أُنزل إليها ، يعني : دون نقل حيثيّاته كما هي في عالمها الذي أُنزلت منه .. بينما التنزيل كصيغة مصدر للرباعي [**نَزَّل**] يقوم به ال [**مُنَزِّل**] لنقل ال [**مُنَزَّل**] من ساحته إلى ساحةٍ أُخرى ، دون أيِّ تغيير في ماهيّة المنزَّل .. أي بنقلِ بحيثيّاته – كما هي – من عالمه الذي نُزِّل منه ، إلى عالمه الذي نُزِّل إليه .. وقد بيَّنت ذلك بما فيه الكفاية ، سواء في كتبي أم برامجي ..

.. وفي بحثنا [[**مُصَدِّق لما معهم**]] ، نحن أمام صيغتين مختلفتين .. الأولى منهما لم ترد في كتاب الله تعالى وهي الفعل المتعدِّي بالهمز : [**أَصْدَقَ**] ، وتعني : أظهرَ ال [**مُصْدِق**] حقيقةَ ال [**مُصْدَق**] بأنَّ ال [**مُصْدَق**] الموجود بين يدي ال [**مُصْدِق**] موجودٌ [بإطاره العام دون الدّخول في حيثيّاته] وذلك منذ وجود أساس هذا ال [**مُصْدَق**] .. يعني : ال [**مُصْدِق**] عايرَ ما بين يديه من كليّة ال [**مُصْدَق**] ، وأقرَّ بصحّة وجود ال [**مُصْدَق**] ، بأنَّه بكليّته [دون الدخول بتفاصيله وجزئيّاته وما طرأ عليها] موجودٌ كما أنَّه بأصله مَوجود بإطاره العام ... وكما قلنا : هذه الصيغة الفعليّة [**أصدَقَ**] لم ترد في القرآن الكريم ..

.. والصيغة الأُخرى هي [**صَدَّق**] ، وتعني : عايرَ ال [**مُصَدِّق**] ما بين يديه من واقع ال [**مُصَدَّق**] ، عايره [كمفعول به] بجزئيّاته وتفاصيله وحيثيّاته ، عايره على أساس هذا ال [**مُصدَّق**] بجزئيّاته وتفاصيله وحيثيّاته ، وأظهر الصِّدقَ

من الباطل فيما بين يديه من واقع ال [**مُصدَّق**] .. وذلك .. ببيان مالُبّس على ال [**مُصدَّق**] الموجود بين يدي ال [**مصدِّق**] .. وبالتالي فأساس ال [**مُصَدَّق**] يرد مجروراً بحرف الجر ،كونه به وعليه تتمُّ المعايرة ... يعني : الْمُصدِّق عايرَ ما بين يديه من واقع الْمُصْدَّق ، عايره بواسطة ميزان هو أساس هذا الْمُصدَّق ..... إذاً .. في مسألة التَّصْدِيق ، وبورود الصيغة الفعليّة ((**صدَّق**)) ، نحن أمام العناصر التالية :

١ – أساس ال [**مُصَدَّق**] بجزئيّاته وتفاصيله وحيثيّاته ، بَعيداً عمّا قِيل عنه وعمَّا لُبّس عليه لاحقاً .. وهذا الأساس للْمُصَدَّق الذي تتمُّ المعايرة عليه وبه ، يَردُ مجروراً بحرف الجر ، كونه يتم التصديق بواسطته وعليه ..

٢ – ما بين يدي ال [**مُصَدِّق**] من واقعٍ لل [**مُصَدَّق**] ، بما يحمله هذا الواقع من قولٍ وإضافات وتحريف وتدليس أُلقي – لاحقاً – على ال [**مُصدَّق**] ... وهذا الذي بين يدي الْمُصدِّق من واقعٍ لِلْمُصَدَّق [بما ألقي عليه] ، نراه مفعولاً به ، كونه سيُعايَر على أساس الْمُصَدَّق ..

٣ – ال [**مُصَدِّق**] وهو مَن يقوم بمعايرة ما بين يديه من واقع لل [**مُصَدَّق**] على **أساسِ** حقيقة ال [**مُصَدَّق**] .. وذلك .. لبيان الصِّدق المحمول في أساس ال [**مُصَدَّق**] ولبيان ما أُلقي على **أساس الْمُصَدَّق** – لاحقاً وبين يدي الْمُصَدِّق – من تدليس وكذب وافتراء وتحريف ..

وحتّى لا يكون قولنا هذا مجرّدَ كلامٍ نظريٍّ ، سنأخذ أمثلةً من كتاب الله تعالى ، نرى من خلالها حقيقة ما نذهب إليه ..... لننظر في قولِه تعالى :

﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴾ [الواقعة : ٥٧]

المعنى : نحن خلقناكم ، فلولا تُعايرون أعمالَكم على مِعيارٍ هو : حَقُّ خالِقِكم بأن تعبدوه .. إذاً .. عندنا العناصر التالية :

١ – أساس التَّصديق ومعياره الذي به وعليه يتمّ التَّصديق ، وهو : أنَّ اللهَ تعالى خالقٌ للإنسان ، وعلى الإنسان أن يعبدَه .. يعني : بكون الله تعالى خالقاً

للإنسان مستحقّاً للعبادة ، تتمُّ – على ذلك – معايرة ما بين يدي الإنسان من عمل ..

٢ – ما بين يدي ال [**مُصدِّق**] من واقع عملي يتفاعل به البشر في موضوع أساس هذا ال [**مُصدَّق**] ، وهو أعمال البشر وتفاعلهم مع كون الله تعالى خالقاً مستحقاً للعبادة ، كمفعولٍ به ، تتمُّ معايرتُه على أساس ال [**مُصَدَّق**] ..

٣ – ال [**مُصدِّق**] وهو الإنسان الذي عليه أن يقوم بعمليّة التَّصديق هذه ، بأن يُعاير عَملَه الذي يقومُ به ، على أساس ما تقتضيه حقيقة كون الله تعالى خالقاً له مستحقّاً للعبادة ... هل : عملُه يوافق مقتضى هذا الأساس ؟ .. أم لا ؟ ..

.. ولا يمكن لعاقل أن يقول : التَّصديق هنا هو مجرّدُ إقرار بأنَّ الله تعالى هو الخالق .. أبداً .. لو كان الأمر كذلك لكانت الصيغة بالشكل : [**نحن خلقناكم فلولا تُصْدِقُون**] وذلك من الرباعي المتعدّي بالهمز [**أَصْدَقَ**] .. لكن ما نراه هو صيغة الرباعي المتعدّي بالتضعيف : [**صَدَّق**] : ﴿ **نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ** ﴾ ..

.. الكافرون **يُصْدِقون** [يعترفون ويقرّون] أنَّ اللهَ تعالى خَلَقَهم وخلق السماوات والأرض ، لكنّهم لا **يُصدِّقون** [لا يعايرون أعمالهم على مقتضى حقيقة التصديق بأنَّ الله تعالى كخالقٍ لهم يستحق العبادة] .. الكافرون لا يُنكرون أنَّ الله تعالى هو الخالق .. أبداً .. إنّما المشكلة في جحودهم ،كونهم لا يعايرون أعمالَهم على ما تقتضيه حقيقة كونهم مخلوقين لله تعالى :

﴿ **وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [لقمان : ٢٣ – ٢٥]

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر : ٣٨]

.. تَصديقُ الإنسان بأنَّ اللهَ تعالى هو الخالق ، يكون بمعايرة هذا الإنسان لعمله على ما يستحقّه اللهُ تعالى من عباده كونه خالقاً للإنسان ولكلِّ المخلوقات .. بينما اعتراف الإنسان بأنَّ اللهَ تعالى هو الخالق .. هذا الاعتراف هو **إصداقٌ** من الرباعي المتعدّي بالهمز : [**أَصْدَق**] ، وليس تَصديقاً من الرّباعي المتعدّي بالتضعيف : [**صَدَّق**] ..... وهذا المعنى للتصديق نراه في قوله تعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ [المعارج : ٢٣ – ٢٦]

هنا : **الأساس لل** [**مُصدَّق**] هو ما يترتَّب على عمل الإنسان من حساب ، يوم الدّين ، ونراه يردُ اسماً مجروراً كونه بواسطته وعليه تتمُّ المعايرة : ﴿ **يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ** ﴾ ... وال [**مُصدَّق**] الذي بين يدي ال [**مُصدِّق**] هو عملُ الإنسان في الحياة الدّنيا ، الذي تجب معايرته على ما يترتّب على هذا العمل من حساب يوم الدِّين .. وال [**مُصدِّق**] الذي عليه أن يقومَ بهذه المعايرة هو الإنسان ذاته ...

.. ولا يمكن لعاقل أن يقول : التَّصديق هنا هو مجرّدُ إقرارٍ بوجود يوم الدِّين دون معايرة الأعمال على ما يترتّب عليها من حساب في الآخرة .. لو كان الأمر كذلك لكانت صيغة الإصداق من الرباعي المتعدّي بالهمز [أَصْدَق] أي لكانت بالشكل : [[**والذين يُصدقُون بيوم الدّين**]] .. كلُّ العصاة يقرّون بوجود يوم الدّين .. أي : [**يُصْدِقُون بيوم الدّين**] .. لكنَّهم يعملون بنقيض ما يجب عليهم عمله خوفاً من الحساب يوم القيامة أي : [[**لا يُصَدِّقُون بيوم الدّين**]] ..

.. وهذا المعنى للتصديق ، نراه في قوله تعالى :

﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر : ٣٣]

هنا : أساس ال[**مُصدَّق**] الذي عليه تتمُّ المعايرة هو الصِّدق ، لذلك نراه اسماً مجروراً : ﴿ وَصَدَّقَ بِهِۦ ﴾ ... وال [**مُصدَّق**] الذي يُعايَر على هذا الأساس هو عمل الإنسان ، وال [**مُصدِّق**] الذي يقوم بهذه المعايرة هو الإنسان ..

ولا يمكن لعاقل أن يقول : التَّصديقُ بالصِّدق هو إقرارٌ بهذا الصّدق بأنَّه صدق .. لا يمكن .. فالعبارة ﴿ جَآءَ بِٱلصِّدْقِ ﴾ نراها الخطوة الأولى وهي بالتأكيد إقرارٌ بهذا الصِّدق ، فكيف للإنسان أن يأتي بالصدق دون أن يكون مقرّاً بهذا الصّدق ؟!!! .. التصديق بهذا الصدق هو الخطوة الثانية ﴿ وَصَدَّقَ بِهِۦ ﴾ كخطوة ثانية تُعطَف على الخطوة الأولى : ﴿ جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦ ﴾ .. ولو كان الأمر في هذه الآية مجرَّد إقرارٍ بالصدق ، لما وردت العبارة الأولى : ﴿ جَآءَ بِٱلصِّدْقِ ﴾ ولكانت العبارة الثانية بالشكل : [**وأَصْدَقَ بالصِّدق**] ..

.. ولننظر في قوله تعالى :

﴿ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾ [القصص : ٣٤]

.. هنا : أساس التَّصديق لل [**مُصَدَّق**] الذي عليه وبه يتمُّ التصديق ، هو ما يحمله موسى عليه السلام من منهج يريده اللهُ تعالى .. وال [**مُصَدَّق**] الذي يُعاير على أساس التصديق هو ما يخاطب به موسى قومَه وما يدركونه من هذا القول ، لذلك نراه يردُ مفعولاً به : ﴿ يُصَدِّقُنِىٓ ﴾ فالضمير المتّصل : ﴿ نِىٓ ﴾ يعود على موسى .. وال [**مُصَدِّق**] الذي يقوم بهذه المعايرة هو هارون كونه أفصحَ لساناً من موسى وأكثر قدرة على التعبير .. ولا يمكن لعاقل أن يتخيّل أنَّ تصديقَ هارون لموسى هو مجرّد شهادة يقول فيها موسى لبني إسرائيل : موسى صادق بما يقولُه لكم .. وفي قصّة السّامري وعدم اتّباع بني إسرائيل لقول هارون لأكبر دليل على

ذلك ... لو كان الأمرُ مجرَّدَ إصداق يقوم به هارون تجاه موسى ، لكان النصُّ بالشكل : [[**فأرسله معي ردءاً – يُصَدِّقُني – إنّي أخاف أن يُكَذِّبُون**]] ..

.. ولننظر في قولِه تعالى :

﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾

[سبأ : ٢٠]

.. في هذه الآية الكريمة ، عندنا العناصر التالية :

١ – **أساسُ ال [مُصَدَّق]** الذي به وعليه تكون المعايرة ، هو حقيقة عمل البشر في تفاعلهم مع إغواء إبليس لهم ، وهذا ما يحمله الجار والمجرور ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ ..

٢ – المعايَر الذي تتمُّ معايرته على أعمال البشر لمعرفة مدى صدقه هو ظنُّ إبليس بهؤلاء البشر حينما توعَّد بإغوائهم :

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [الحجر : ٣٩ – ٤٠]

﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾

[ص : ٨٢ – ٨٣]

لذلك نرى أنَّ المعايَر : ﴿ ظَنَّهُۥ ﴾ يردُ مفعولاً به : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ ﴾ ..

٣ – ال [**مُصدِّق**] وهو إبليس ، الذي عايرَ ظنَّه بإغواء البشر ، عايره على حقيقة عمل البشر في استجابتهم لهذا الإغواء .. فنتيجة إغوائه لهم هي : ﴿ **فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ .. ولو كان الأمرُ مجرّدَ إقرارٍ بتحقيق ظنِّ إبليس بالبشر ، لكانت الصيغة بالشكل : [**ولقد ––– أَصْدقَ ––– عليهم إبليس ظنّه**] ..

.. لنأخذ مثالاً آخَر .. لننظر في قوله تعالى :

﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُاْ ٱلْمُبِينُ ﴾ [الصّافّات : ١٠٤ - ١٠٦]

هنا : ال [**مُصدِّق**] فاعل التَّصديق هو إبراهيم عليه السلام ... وال [مُصدَّق] الذي تمّت معايرتُه هو المفعول به : ﴿ ٱلرُّءْيَآۚ ﴾ : ﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآۚ ﴾ .. **وأساس ال [مُصدَّق]** الذي به وعليه تتمُّ المعايرة هو همُّ إبراهيم بتنفيذ مضمون تلك الرؤيا .. بمعنى : يا إبراهيم قد أظهرت صدق إيمانك لِمَا رأيت ، بواسطة همّك بتنفيذ مضمونها .. ولو كان الأمرُ مجرّدَ إقرارٍ من إبراهيم بصدق هذه الرؤيا بعيداً عن تنفيذ مضمونها ، لكان النصُّ بالشكل : [**قد --- أصْدَقْت --- الرؤيا**] .. لكن .. النص هو : ﴿ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآۚ ﴾ ..

.. ولننظر في قوله تعالى :

﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الصّافّات : ٣٦ – ٣٧]

.. هنا : ال [**مُصدِّق**] هو رسول الرسالة الخاتمة محمّد عليه السلام .. **وأساس ال [مُصَدَّق]** الذي عليه وبه يُعاير ال [**مُصدِّق**] ما بين يديه مِمّا يُذكَر عن المرسلين هو منهجُ الله تعالى الذي أُرسل به رسول الرسالة الخاتَمة .. وال [مُصَدَّق] الذي تتمُّ معايرته هو ما يُذكَر بين يدي رسول الرسالة الخاتَمة عن المرسلين ، لذلك نرى هذا ال [**مُصَدَّق**] يردُ مفعولاً به : ﴿ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ ... عمليّة التَّصديق هنا هي إظهار الحق الذي جاء به المرسلون السابقون ، وذلك ببيان ما لُبّس عليهم ، وبإظهار حقيقة المناهج التي حملوها .. وليست مجرَّد إقرارٍ بكون هؤلاء المرسلين مرسلين من عند الله تعالى ، لو كان الأمر كذلك لكانت الصيغة بالشكل : [**بل جاء بالحق --- وأصدَقَ --- المرسلين**] ..

ولننظر في قوله تعالى :

﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَانَ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾ [التحريم : ١٢]

.. هنا : ال [مُصَدِّق] هو مريم عليها السلام .. وأساس ال [مُصَدَّق] الذي به وعليه تتمُّ المعايرة هو كلمات الله تعالى وكتبه ، لذلك نراه اسماً مجروراً : ﴿ وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ ﴾ .. والمصدَّق الذي عايرته مريم عليها السلام على كلمات الله تعالى وكتبه هو عملُها ، والذي كان مُطابقاً لأمر الله تعالى .. ولو كان الأمر مجرّد اعتراف من مريم بصدق كلمات ربّها وكتبه ، لكانت الصيغة بالشكل : [[--- وَأَصْدَقَت --- بكلمات ربّها وكتبه]] ..

.. ولننظر في قوله تعالى :

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ [الليل : ٥ – ٧]

هنا : أساس ال [مُصَدَّق] الذي به وعليه تتمُّ المعايرة هو الحسنى ، لذلك نراه اسماً مجروراً : ﴿ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴾ .. وال [مُصَدَّق] كمفعولٍ به يُعايَر على هذا الأساس ، هو العمل ، وال [مُصَدِّق] الذي يقوم بهذه المعايرة هو الإنسان .. ولا يمكن لعاقل أن يقول : التصديق هو مجرّد قولٍ يُقرُّ بفضيلة الحسنى ، لو كان الأمر كذلك لكانت الصيغة بالشكل [[-- وَأَصْدَقَ -- بالحسنى]] ..

.. وما رأيناه في النصوص الكريمة السابقة الحاملة للرباعي المتعدّي بالتضعيف ((صَدَّق)) نراه أيضاً في قوله تعالى :

﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ۝٣١ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ [القيامة : ٣١ – ٣٢]

.. ما رأيناه في النصوص القرآنيّة الحاملة للفعل الرباعي المتعدّي بالتضعيف : ((صَدَّق)) ، نراه أيضاً في النصوص القرآنيّة الحاملة لاسم الفاعل ((مُصَدِّق)) ... لكن ... كونَ اسمِ الفاعل : ((مُصَدِّق)) صيغةً ليست فعليّة ، كما هو حال الفعل : ((صدَّق)) ، فإنَّ اسمَ الفاعل ((مُصَدِّق)) أمام احتمالين :

١ – أن تُضاف كلمة ((مُصَدِّق)) ل ال ((مُصدَّق)) الذي تتمُّ معايرتُه :

﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾

[الأنعام : ٩٢]

.. هنا .. ال [مُصَدِّق] هو كتابُ الله تعالى [القرآن الكريم] .. وهو ذاتُه أساس ال [مُصَدَّق] ، بما يحمله عن الرسالات السماويّة السابقة .. وال [مُصَدَّق] الذي تتمُّ معايرتُه على هذا الأساس [القرآن الكريم] ، هو ما بين يدي القرآنِ الكريم ممّا يُذكَر ويُقال عن الكتب السابقة .. لذلك .. نرى أنَّ ما يجب معايرته على القرآن الكريم ، يردُ مُضافاً إليه لكلمة ((مُصَدِّق)) : ﴿ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ ..... يعني : ال [[مُصدِّق]] كأساس للتصديق ، يُضافُ لل [[مُصَدَّق]] الذي يُعايَر على أساس التصديق ..

٢ – أن ترد كلمة ((مُصَدِّق)) مُنوَّنةً ..... وهنا – في حال التنوين – لا يُمكن إضافة هذه الكلمة المنوّنة لأيِّ مُضاف إليه .. وهذا أمرٌ معلوم ..... وهنا : فإنَّ أساسَ التصديق الذي به يتمُّ التَّصديق ، يردُ مجروراً بحرف الباء ، كون هذا الأساس للتصديق ، بواسطته وعليه يتمُّ التصديق ، بينما ما تتمُّ المعايرة له على هذا الأساس ، يكون مجروراً بحرف اللام ، كون المعايرة تكون من أجل بيان الحق من الباطل فيه :

﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [آل عمران : ٣٩]

.. هنا ال [مُصَدِّق] هو يحيى عليه السلام ﴿ مُصَدِّقًا ﴾ ... وأساس ال ((مُصَدَّق)) الذي عليه تتمُّ المعايرة هو الاسم المجرور بحرف الباء : ﴿ بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ .. وال ((مُصَدَّق)) الذي تتمُّ المعايرة له على هذا الأساس ، هو ما بين يدي يحيى عليه السلام ممّا يتمُّ نسبه إلى الله تعالى .. يعني : [[يحيى مُصَدِقٌ بكلمة من الله تعالى لِمَا بين يديه مما يُنسَب إلى الله تعالى]] .. يعني : أساس التصديق يكون مجروراً بالباء كونه به يتمُّ التصديق ، والمصدَّقَ الذي يُعايَر على هذا الأساس

يكون مجروراً بحرف اللام ، كونه له تكون المعايرة .. وهذا ما نراه في كلِّ النّصوص القرآنيّة الحاملة لكلمة ((**مُصَدِّق**)) .. لننظر في قوله تعالى :

﴿ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ **مُصَدِّقًا** **لِّمَا مَعَكُمْ** وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِۦ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّـٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴾ [البقرة : ٤١]

ما نراه هنا أنَّ ال [**مُصَدِّق**] هو كتابُ الله تعالى الذي أنزله على رسوله محمّد عليه السلام ﴿ **وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ** ﴾ والحامل لمضمون **أساس ال** [**مُصَدَّق**] ذلك الأساس الذي أنزله اللهُ تعالى على بني إسرائيل .. و ال [**مُصَدَّق**] الذي يُعايَر على ما يحمله القرآن الكريم هو ما بين أيدي بني إسرائيل في عصر إنزال القرآن الكريم إلى قيام الساعة ، لذلك نراه اسماً مجروراً بحرف اللام : ﴿ **لِّمَا مَعَكُمْ** ﴾ ... هنا .. تقدير المعنى هو : [[وآمنوا بما أنزلت **مصدِّقا به لِمَا معكم**]] .. يعني : أساس التصديق مجرورٌ بالباء [[هنا يقدَّر تقديراً ، بينما في المثال السابق ورد بشكلٍ صريح]] ، والْمُصَدَّق الذي له تكون المعايرة على أساس التصديق ، يردُ مجروراً باللام : ﴿ **لِّمَا مَعَكُمْ** ﴾ [هنا يرد بشكلٍ صريح ، بينما في المثال السابق يقدَّر تقديراً] ..

التصديق المعني هو : حَمْلُ القرآن الكريم لما يُبيّن الحق الذي أنزله الله تعالى على بني إسرائيل ، وبالتالي معرفة الباطل الذي لفَّقه بنو إسرائيل واختلفوا فيه .. يعني : ما أنزله الله تعالى على رسول الرسالة الخاتمة هو مُصحِّح لما بين أيدي بني إسرائيل كبيان للحقِ وكبيان ممّا لفّقوه في كتبهم .. وهذا ما بيّنه الله تعالى بشكلٍ واضح : ﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [النمل : ٧٦] ..

.. لو كان المعنى المحمول في هذه الآية الكريمة : أنَّ القرآنَ الكريمَ يُقرُّ بما بين يدي بني إسرائيل [حين نزول القرآن الكريم] ككتابٍ من عند الله تعالى ، دون الدخول بالتفاصيل وبما تمَّ التدليس عليه ، لو كانت الآية الكريمة تعني ذلك ،

لكانت الصيغة بالشكل : [[مُصْدِقاً لِمَا مَعَكم]] ، وليس بالشكل : ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ ﴾ ..

وهذا ما نراه – أيضاً – في قوله تعالى :

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾

[البقرة : ٨٩]

.. هنا : ال [مُصَدِّق] هو القرآن الكريم .. والأساس ل ال [مُصَدَّق] الذي يحمل – فيما يحمل – أساسَ الحقِّ الذي أنزله الله تعالى عليهم ، والذي به يتمُّ التصديق ، هذا الأساس هو ما يحمله القرآن الكريم عنهم .. وال [مُصَدَّق] الذي له تكون المعايرته على هذا الأساس ، هو ما معهم من ذلك الكتاب ، لذلك نراه يرد اسماً مجروراً بحرف اللام : ﴿ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ .. بمعنى : [[ولَمَّا جاءهم كتابٌ من عند الله مصدِّقٌ به لِمَا معهم]] .. يعني : أساس التصديق ، به يكون التصديق ، والْمُصَدَّق الذي تتمُّ المعايرة له على هذا الأساس ، يكون مجروراً بحرف اللام : ﴿ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ ..

ولو كان المعنى المحمول في هذه الآية الكريمة : أنَّ القرآنَ الكريمَ يُقرُّ بما بين أيديهم [حين نزول القرآن الكريم] ككتابٍ من عند الله تعالى ، دون الدخول بالتفاصيل وبما تمَّ تحريفه والتدليس عليه ، لو كانت الآية الكريمة تعني ذلك ، لكانت الصيغة بالشكل [[مُصْدِقاً لِمَا مَعَكم]] ، وليس بالشكل : ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ ﴾ ..

ولننظر في قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الصف : ٦]

هنا : عيسى عليه السلام كرسولٍ من الله تعالى [**مُصدِّق**] لما بين يديه من التوراة ، وما يحمِلُهُ من رسالةٍ أرسله الله تعالى بها هو أساس ال [**مُصَدَّق**] الذي **به** يتمُّ التصديق ، وما بين يديه من التوراة هو ال [**مُصدَّق**] الذي **له** تكون المعايرة على أساس هذا الْمُصدَّق .. لذلك نرى هذا المصدَّق يردُ اسماً مجروراً بحرف اللام : ﴿ **مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ** ﴾ .. يعني : تصديق عيسى لما بين يديه من التوراة ، هو بيانٌ للحقّ الذي أنزله الله تعالى في التوراة وبيّانٌ لما لُبِّس عليها ، بمعنى : هو إظهار الصّدق في جزئيّات أصل التوراة بعيداً عمّا لُبِّس عليها .. ولو كان الأمرُ مجرّد إقرارٍ بأنَّ التوراة من عند الله تعالى دون بيانٍ لما لبّس عليها ، لو كان الأمرُ كذلك لكانت الصيغة بالشكل [**مُصدِقاً لما بين يدي من التوراة**] ..

.. لذلك .. عندما أظهر عيسى لبني إسرائيل حقيقة أساس التوراة ، بعيداً عمّا لُبّس عليها لم يستجيبوا له : ﴿ **فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ** ﴾ .. وهذا ما نراه – أيضاً في قوله تعالى :

﴿ **وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ** ﴾ [المائدة : ٤٦]

في هذه الآية الكريمة نرى تصديقين :

١ – **التصديق الأوَّل** : يتعلَّق بعيسى عليه السلام كنفسٍ مليئة بالرّوح ، كونه مُصَدِّقاً لِمَا بينَ يديه من التوراة ، فال [**مُصَدِّق**] هو عيسى عليه السلام ، وأساسُ ال [**مُصَدَّق**] الذي به تتمُّ المعايرة هو هو الرّوح الذي يملأ نفس عيسى كصلة مع الله تعالى ، وال [**مُصَدَّق**] الذي له تكون المعايرة هو ما بين يدي عيسى من التوراة .. يعني : [[**وقفّينا على آثارهم بعيسى مُصدِّقاً بِـمَا لديه من صلةٍ مع الله تعالى لِمَا بين يديه مِمّا يحمله بنو إسرائيل عن التوراة**]] .. لذلك

نرى الْمُصَدَّق الذي له تكون المعايرة ، نراه مجروراً بحرف اللام : ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾ ، وأساس التصديق الذي به تكون المعايرة يُقدَّر كاسم مجرور بحرف الباء ..

٢ – **التصديق الثاني** : يتعلَّق بالإنجيل الذي آتاه الله تعالى لعيسى : ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾ .. هنا : ال [**مُصَدِّق**] هو الإنجيل ، وأساسُ ال [**مُصَدَّق**] الذي به تتمُّ المعايرة هو ما يحمله الإنجيل من حق ، وال [**مُصَدَّق**] الذي له تكون المعايرة على هذا الأساس ، هو ما بين يدي الإنجيل من التوراة ... فالمعنى هو : [[**وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدِّقاً به لِمَا بين يديه من التوراة**]] ..

.. ولو كان الأمر [في التصديقين] مجرّد اعتراف من عيسى ومن الإنجيل بكون التوراة كتاباً سماويّاً دون أيِّ معايرة لجزئيّاته ، لو كان الأمر كذلك ، لكانت الصيغة بالشكل : [**مُصْدِقاً لِمَا بين يديه من التوراة**] ..

ولننظر في قوله تعالى :

﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأحقاف : ١٢]

.. هنا : ال [**مُصَدِّق**] هو القرآن الكريم حال كونه لساناً عربيّاً .. وأساس ال [**مُصَدَّق**] الذي به يكون التصديق ، هو ما يحمله القرآن الكريم عن كتاب موسى .. وال [**مُصَدَّق**] الذي له تكون المعايرة على هذا الأساس ، هو ما بين يدي القرآن مِمَّا يُذكَر عن كتاب موسى .. بمعنى : [[**وهذا كتابٌ مصدِّق به لكتاب موسى**]] .. بمعنى : وهذا كتابٌ يبيّن الحقَّ الذي أنزله الله تعالى في كتاب موسى مِمَّا لُبِّس على كتاب موسى ..

.. هذا الذي نراه في عناصر التصديق في الأمثلة السابقة ، نراه – أيضاً – في كلِّ النصوص القرآنيّة الحاملة لاسم الفاعل ((**مُصدِّق**)) المنوَّنة ، والمحاكية

للصيغة التي رأيناها في الأمثلة السابقة ، حيث أساس الْمُصَدَّق يقدّر جرّه بحرف الباء [كما رأينا في الأمثلة السابقة] ، وحيث الْمُصَدَّق الذي له تكون المعايرة على أساس الْمُصَدَّق يرد اسماً مجروراً باللام :

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة : ٩١]

﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة : ٩٧]

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٠١]

﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ [آل عمران : ٣]

﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [آل عمران : ٥٠]

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران : ٨١]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [النساء : ٤٧]

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ

ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [المائدة : ٤٨]

﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [فاطر : ٣١]

﴿ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الأحقاف : ٣٠]

.. إذا .. ال ((**مُصدِّق**)) هو : الْمُبيِّن للصِّدق الخالي من الباطل والخالي من التَّدليس ، وذلك فيما بين يدي هذا ال ((**مُصدِّق**)) ممّا هو متداول ومتعارَف عليه من ال ((**مُصَدَّق**)) ، وذلك بالمعايرة على أساس ال ((**مُصَدَّق**)) ، ذلك الأساس الذي يحمله ال ((**مُصَدِّق**)) .. وما قدّمناه من أدلّة محمولة بقواعد لسان كتاب الله تعالى واضحة وضوح الشمس وسط النهار ، لأكبر دليلٍ على ذلك ..

.. هذا المعنى الذي وصلنا إليه بهذا البرهان الدّامغ من كتاب الله تعالى ، يتجلّى أمامَ أعيننا من خلال ما يحمله كتاب الله تعالى القرآن الكريم ، كتصحيحٍ لكثيرٍ من المفاهيم المحمولة بالنصوص المتداولة عند أهل الكتاب ..والأمثلة كثيرة جداً .. وسنتعرَّض لبعض هذه الأمثلة كنماذج نُدلِّل – بها – على صحّة ما نذهب إليه ..

.. مثلاً : في الكتاب المقدّس [سفر التكوين] .. ترد قصّة يوسف عليه السلام .. ومن حيث الشكل العام – كهدف عام من هذه القصّة – نراها متشابهة مع ما يرد في القرآن الكريم ... فالقرآن الكريم ((**مُصْدِق**)) لها بأنّها : بإطارها العام [بعيداً عن تفاصيل جزئيّاتها] صحيحة ... لكن ... تصديق القرآن الكريم لها ، هو بيان الصّدق من الباطل في تفاصيل أحداثها .. فالقرآن الكريم ك ((**مُصَدِّق**)) لها ، نراه يبيّن لنا ما تمَّ تحريفه ووضعه في جزئيّات أحداثها .. وسنقف عند بعض النقاط لنرى صحّة ما نذهب إليه وبالتفصيل ..

.. لننظر في النصِّ التالي من سفر التكوين :

[[[..... [٥] وحلم يوسف حلماً وأخبر إخوته ، فازدادوا أيضاً بغضاً له [٦] فقال لهم اسمعوا هذا الحلم الذي حلمت [٧] فها نحن حازمون حزماً في الحقل ، وإذا حزمتي قامت وانتصبت ، فاحتاطت حزمكم وسجدت لحزمتي [٨] فقال له إخوته : ألعلّك تملك علينا ملكاً أم تتسلّط علينا تسلّطاً ، وازدادوا أيضاً بغضاً له من أجل أحلامه ومن أجل كلامه [٩] ثمَّ حلم أيضاً حلماً آخر وقصّه على إخوته فقال : إنّي حلمت حلماً أيضاً ، وإذا الشمس والقمر وأحد عشر كوكباً ساجدة لي [١٠] وقصّه على أبيه وعلى إخوته ، فانتهره أبوه وقال له : ما هذا الحلم الذي حلمت ؟ ، هل نأتي أنا وأمّك وإخوتك لنسجد لك إلى الأرض ؟ [١١] فحسده إخوته ، وأمّا أبوه فحفظ الأمر [١٢] ومضى إخوته ليرعوا غنم أبيهم عند شكيم [١٣] فقال إسرائيل ليوسف : أليس إخوتك يرعون عند شكيم ؟ تعال فأرسلك إليهم ، فقال له هانذا [١٤] فقال له : اذهب فانظر سلامة إخوتك وسلامة الغنم وردَّ لي خبراً . فأرسله من وطاء حبرون فأتى إلى شكيم [١٥] فوجده رجل وإذا هو ضال في الحقل . فسأله الرجل قائلاً : ماذا تطلب ؟ [١٦] فقال : أنا طالب إخوتي ، أخبرني أين يرعون ؟ [١٧] فقال الرجل : قد ارتحلوا من هنا ، لأنّي سمعتهم يقولون : لنذهب إلى دوثان [١٨] فلمّا أبصروه من بعيد قبلما اقترب إليهم ، احتالوا له ليميتوه [١٩] فقال بعضهم لبعض : هوذا هذا صاحب الأحلام قادم [٢٠] فالآن هلمّ نقتله ونطرحه في إحدى الآبار ونقول : وحش رديء أكله فنرى ماذا تكون أحلامه [٢١] فسمع رأوبين وأنقذه من أيديهم وقال : لا نقتله [٢٢] وقال لهم رأوبين : لا تسفكوا دماً ، اطرحوه في هذه البئر التي في البريّة ولا تمدّوا إليه يداً ، لكي ينقذه من أيديهم ليردّه إلى أبيه [٢٣] فكان لَمَّا جاء يوسف إلى إخوته أنَّهم خلعوا عن يوسف قميصه الملوَّن الذي عليه [٢٤] وأخذوه وطرحوه في البئر فكانت فارغة ليس فيها

ماء [٢٥] ثمَّ جلسوا ليأكلوا طعاماً فرفعوا عيونهم ونظروا فإذا قافلة إسماعيليّين مقبلة من جلعاد وجمالهم حاملة كثيراء وبلسانا ولاذنا ذاهبين ليتزلوا إلى مصر [٢٦] فقال يهوذا لإخوته : ما الفائدة أن نقتل أخانا ، ونخفي دمه [٢٧] تعالوا فنبيعه للإسماعيليّين ولا تكن أيدينا عليه لأنّه أخونا ولحمنا ، فسمع له إخوته [٢٨] واجتاز رجال مديانيّون تجار ، فسحبوا يوسف وأصعدوه من البئر ، وباعوا يوسف للإسماعيليّين بعشرين من الفضّة ، فأتو بيوسف إلى مصر [٢٩] ورجع رأوبين إلى البئر وإذا يوسف ليس في البئر ، فمزّق ثيابه [٣٠] ثمّ رجع إلى إخوته وقال : الولد ليس موجوداً ، وأنا إلى أين أذهب ؟ [٣١] فأخذوا قميص يوسف وذبحوا تيساً من المعزى ، وغمسوا القميص في الدم [٣٢] وأرسلوا القميص الملوَّن وأحضروه إلى أبيهم وقالوا : وجدنا هذا ، حقّق أقميص ابنك هو أم لا ؟ [٣٣] فتحقّقه وقال : قميص ابني ! وحش رديء أكله ، افترس يوسف افتراساً ، فمزَّق يعقوب ثيابه ، ووضع مسحاً على حقويه ، وناح على ابنه أيّاماً كثيرة .....]]]

.. انتهى الاقتباس ..

.. هنا : في البداية ، حَلِمَ يوسفُ : أنَّ حزمَتَه في الحقل سَجَدَت لها حزم إخوته .. ثمَّ بعد ذلك حلم حلماً آخَر : أنَّه رأى الشمس والقمر وأحد عشر كوكبا ، رآها ساجدةً له .. بعد ذلك تمَّ إرسال يوسف بأمرٍ من أبيه ليلحق بإخوته فينظر سلامة إخوته وسلامة الغنم ، وعندما وصل إلى إخوته احتالوا عليه ليميتوه ، ثمَّ يزعمون أنَّ وحشاً رديئاً أكله .. وبعد إلقائه في البئر ، جلسوا يأكلون طعاماً ، وإذا بقافلة للإسماعيليّين مُقبلة ، وقام إخوة يوسف ببيع يوسف للإسماعيليّين ، بعشرين من الفضّة .. بعد ذلك أخذوا تيساً من المعزى وذبحوه وغمسوا القميص في دمه ، بعد ذلك أحضروا القميص إلى أبيهم .. هكذا هي تفاصيل الأحداث في سفر التكوين ..

.. لكن .. في القرآن الكريم نرى تَصديقاً لذلك ، بمعنى : نرى تصحيحاً لِمَا تمَّ تحريفه في تفاصيل هذه الأحداث .. لننظر في النصِّ التالي من سورة يوسف :

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ۝٤ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٥ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦ ۞ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ۝٩ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۝١٠ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَالَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ۝١١ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝١٢ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ۝١٣ قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ۝١٤ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝١٥ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ۝١٦ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ۝١٧ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ۝١٨ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ۝١٩ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾ [يوسف : ٤ – ٢٠]

.. في القرآن الكريم ، أيضاً رأى يوسف رؤيتين .. لكن : الأولى منهما أنَّه رأى أحد عشر كوكباً والشمس والقمر .. والثانية منهما أنَّه رأى إخوتَه ساجدين

له ، وذلك بدليل : تكرار كلمة ((رأيت)) : [﴿ رَأَيْتُ ﴾ ،، ﴿ رَأَيْتُهُمْ ﴾] .. وبدليل صيغة العقلاء : ﴿ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ فهذه الصيغة تتعلّق بعقلاء وليس بجمادات كالشمس والقمر : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ .. وبورود كلمة ﴿ يَا أَبَتِ ﴾ نرى أنَّ النصَّ الكريم ينقل لنا مقولةَ قولِ يوسف لأبيه كما هي .. فما رآه يوسف في رؤيته الثانية هو سجود إخوته له ، وليس سجود حزم إخوته لحزمته .. وممّا يُؤكّد ذلك هو قول يوسف في نهاية القصّة : ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾ [يوسف : ١٠٠] .. نلاحظ في قول يوسف أنَّ ما حدث من سجود إخوته له ، هو تأويل لرؤيته الثانية : ﴿ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ .. وأنَّ هذه الرؤيا بذاتها وكما رآها قد تحقّقت : ﴿ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾ .. ما جُعل حقّاً هو مؤنَّث وليس مذكَّراً ، وهو الرؤيا المؤنَّثة وليس التأويل المذكَّر ، فيوسف لم يقل : [[قد جعله ربّي حقّاً]] ، إنّما يقول : ﴿ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾ .. في موضوع رؤيتي يوسف نرى تصحيحاً قرآنيّاً لما يرد في كتب بني إسرائيل .. فلا وجود للرؤيا الأولى وهي : الحزم التي سجدت لحزمة يوسف .. والرؤيا الأولى هي رؤية الشمس والقمر وأحد عشر كوكباً ، والرؤيا الثاني هي سجود إخوته له .. هذا التصحيح هو التَّصديق الذي بيّناه ، فالقرآن الكريم مُصدِّق لما بين يديه من كتابٍ سماويٍّ سابق ..

.. تصديقٌ آخَر [لنصِّ سفر التكوين الذي بين أيدينا] نراه في إرسال يوسف مع إخوته ، ففي سفر التكوين نرى أنَّ يعقوب هو الذي طلب من يوسف اللحاق بإخوته لينظر سلامتهم وسلامة الغنم ، وأنَّ إخوتَه عزموا نيّة إلقائه في الجب بعد وصوله إليهم .. بينما في القرآن الكريم : إخوة يوسف بيّتوا نيّةَ الخلاص منه قبل ذلك .. وهم مَن طلب من أبيهم أن يُرسِلَه معهم .. وهذا واضح في النصِّ القرآني ..

.. تصديقٌ آخَر للنصِّ الذي بين أيدينا من سفر التكوين ، أنَّ إخوة يوسف بقوا عند البئر وباعوا يوسف ، ثمَّ بعد ذلك جاؤوا لأبيهم بدمٍ كَذب .. لكن .. في القرآن نرى أنَّهم عادوا لأبيهم ومعهم قميص يوسف وعليه دمٌ كذب ، ثمَّ بعد ذلك جاءت سيارةٌ فأرسلوا واردهم ووجدوا يوسف ، دون أيِّ إشارة لعودة إخوة يوسف ، فالذي وجد يوسف وباعه هو السيّارة وليس إخوة يوسف كما هو في سفر التكوين ..

.. أتيت بهذه المقارنة كنموذج نرى من خلاله معنى تصديق القرآن الكريم لما بين يدي أهل الكتاب من نصوصٍ تمَّ تحريف بعض جزئيّاتها نتيجة الترجمات ونتيجة كون نصِّ الكتاب المقدَّس نُقل بالمعنى ، وليس نصّاً مُصاغاً من قِبَل اللهِ تعالى .. وهنا نصلُ إلى سؤالٍ يطرح نفسه : ما الفارق بين نصِّ القرآن الكريم ، وبين نصِّ الكتاب المقدَّس في أساسه ؟ .. ما الفارق من حيث الجوهر والصياغة ؟ .. ولماذا القرآن الكريم فقط هو من تكفَّل الله تعالى بحفظه ؟ ..

.. أُجيب على هذه الأسئلة من خلال النصّ التالي الذي أنقله بحرفيّته من كتابي : [المعجزة الكبرى] :

[[[س ٥ : .. لكنْ .. ما هي حَيثيَّاتُ الفارقِ بين ماهيَّةِ المُعجزةِ القُرآنيّةِ ، وبين ماهيَّةِ المُعجزاتِ في الرسالاتِ الأُخرى ؟ ..

.. رِسالةُ اللهِ تعالى إلى البشرِ هي مَنْهَجُهُ الذي يُريدُ من هؤلاءِ البشرِ أنْ يتَّبعوه .. أي هي مجموعةُ أحكامِ التكليفِ التي يُريدُها اللهُ تعالى ..... ويقومُ الرسلُ عليهم السلام بحَمْلِ هذه الرسالةِ إلى البشر ..... وحتى يُصدِّقَهُم البشرُ لا بُدّ من تأييدِ الرسلِ بمُعْجزاتٍ تكونُ دليلاً على صِدْقِ هؤلاءِ الرسل ... من هُنا علينا أن نُمَيِّزَ بين مَسألتين ، هما : المنهجُ من جِهةٍ ، والمعجزةُ المصدِّقَةُ لهذا المنهجِ من جِهةٍ أُخرى ..

.. ففي رسالة موسى عليه السلام نعلمُ أنّ المنهجَ الذي عَمِلَ به هو التوراة ، وأنّ المعجزةَ التي أُيِّدَ بها هي العصا وغيرُها من المعجزات الكونيّة .. وفي رسالة عيسى عليه السلام نعلمُ أنَّ المنهجَ الذي أُنزلَ عليه هو الإنجيل ، وأنَّ المعجزةَ التي أُيِّدَ بها هي إحياءُ الموتى بإذنِ اللهِ تعالى ، وغيرُ ذلك من المعجزاتِ الكونيّة ..

.. ففي الرسالاتِ السابقةِ نرى أنّ المعجزةَ مُنفَصلةٌ عن المنهجِ انفصالاً تامّاً .. فالتوراةُ غيرُ عصا موسى عليه السلام ، والإنجيلُ غيرُ تأييدِ عيسى عليه السلام بإحياءِ الموتى بإذنِ اللهِ تعالى ... بينما في الرسالةِ الخاتمةِ نرى أنّ المعجزةَ مُلتَحِمَةٌ بالمنهج ، فمنهجُ الرسالةِ الخاتمةِ هو القرآنُ الكريم ، ومعجزتُها هي القرآنُ الكريمُ ذاتُه .. ولذلك حينما طلبَ الجاحدونَ بالرسالةِ الخاتمةِ آياتٍ (أي معجزاتٍ كونيَّة) ، جاء الردُّ الإلهيُّ مُبيِّناً أنَّ القرآنَ الكريمَ يَكْفيهم لِطَلَبِهم الذي طَلَبُوه ، وبالتالي فالقرآنُ الكريمُ يحتوي المعجزاتِ بداخلِه .. يقولُ تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥٠ – ٥١] .. ويقولُ تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء : ٨٨]

.. هذان النصّان القرآنيّان وغيرُهما ، دَليلٌ على صحّةِ هذا الاستدلال .. فقولُه تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ ، إجابةً لِطلبهم معجزاتٍ كونيّة ، وعجزُ الإنسِ والجنِّ عن الإتيانِ بمثلِ القرآنِ الكريم ، يؤكِّدُ أنَّ القرآنَ الكريمَ هو المعجزةُ بذاتِه ..

.. وفي حين أنّ المعجزات السابقةَ كونيّةٌ ساحتُها عالمُ الحسِّ ، وتحدُثُ مرَّةً واحدةً ، أو مرّاتٍ محدودة ، على أيدي الرسلِ فقط ، وتنتمي إلى عالمِ الخلق ، ولا يشاهدُها إلاّ من كان موجوداً حين وُقوعها ..... فإنَّ مُعجزةَ القرآنِ الكريمِ تَتعلَّقُ بصفاتِ الله تعالى ، ومُستمرَّةٌ في كُلِّ زمان ومكان ، وتنتمي إلى عَالَمِ الأمر ، وَيَستنبطُ جوانبَها كُلُّ مُتدبِّرٍ للقرآنِ الكريم ، باحثٍ عن دلالاتِه الإعجازيّة ..

.. فَعندَ الرِّسالةِ الخاتمَة ، تَمَّ تَحوُّلٌ في ماهيَّةِ المعجزاتِ التي يؤيِّدُ اللهُ تعالى بها رُسُلَهُ ، وذلك بالانتقالِ من ساحةِ مُعجزاتِ عالمِ الخلْقِ ، قبلَ الرِّسالةِ الخاتمَة ، حيثُ كذَّبَ بها الأوَّلون ، إلى مُعجزةٍ تنتمي إلى عالمِ الأمْرِ ، صالحةٍ لكلِّ زمانٍ ومكان ، تكفي عن كُلِّ المُعجزاتِ التي يطلبُها البشرُ ، وهي ذاتُ منهجِ الرِّسالةِ الخاتمَة ..

.. هذه الحقيقةُ نراها جليَّةً في تكاملِ دلالاتِ العبارتين القُرآنيَّتين التاليتين ..

﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ ﴾

[الإسراء : ٥٩]

﴿ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾

[العنكبوت : ٥١]

.. فكونُ مُعْجزَةِ الرِّسالةِ الخاتمةِ مُستمرَّةً في كُلِّ زمانٍ ومكان ، يقتضي ذلكَ عَدَمَ انتمائِها إلى ساحَةِ المُعجزاتِ الكونيَّة ، وبالتالي يقتضي كونَها فوقَ التاريخِ والمكانِ والزمان ، وبالتالي يستنبطُ كلُّ جيلٍ منها بمقدارِ تدبُّرِه للقرآنِ الكريمِ ، في إطارِ علمِه وحضارَتِه .. فمعجزةُ الرِّسالةِ الخاتمةِ لم ترتَسِم إطلاقاً بمادةِ التاريخِ والمكانِ والزمان ، كارتسامِ مُعجزاتِ الرِّسالاتِ السَّابقة ..

ولذلك نرى أنّ تَنزيلَ القرآنِ الكريمِ أحدثَ تغييراً كونيّاً لَمْ يحدثْ حين إنزالِ الكُتبِ السماويّةِ الأُخرى ، فالجنُّ عَلِمُوا بإنزالِ الكُتُبِ السماويَّةِ الأخرى .. يقولُ تعالى ..

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الأحقاف : ٢٩ – ٣٠]

.. هؤلاء الجنُّ .. تساءلوا عن التغيير الكونيِّ الذي حَصَلَ حين تَنْزيلِ القُرآنِ الكريم ، والذي لَمْ يحصَلْ حين إنزالِ الكُتُبِ السماويَّةِ السابقة .. يقولُ تعالى ..

﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٰٔنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾

[الجـــن : ١ – ١٠]

وهكذا .. فَكَوْنُ المعجزةِ مُلتَحمةً بالمَنْهَجِ ، يقتضي أنّ المعجزةَ القرآنيّةَ تكمُنُ في صياغةِ النصِّ القرآنيِّ ، لأنّ المنهجَ نصٌّ مَصوغٌ لُغوياً ، من قِبَلِ اللهِ تعالى ..

س ٦ : قُلْتَ : المنهجُ والمعجزةُ تدرّجا بشكلٍ تصاعديٍّ ، حتى تركـــزّا في نصٍّ لُغويٍّ مصوغٍ من قِبَلِ اللهِ تعالى .. السُّؤالُ الآن : ما هـــي حكمـــةُ هـــذا التدرُّج ؟ ..

.. إدراكُ هذه الحكمة يتعلّقُ بإدراكِ سموِّ الفكرِ الإنسانيِّ نحوَ التجـــرّدِ عـــن التاريخِ والآخرين ، وذلكَ في نضجِ إدراكِ الإنسانِ لعلاقتِه مَعَ اللهِ تعالى ومنهجِه .. وهذا يشبه تدرّجَ حياةِ الإنسانِ ، واستقلاليَّتُهُ ، ونُضجَ إدراكِه لوجودِه ، ابتـــداءً بمرحلةِ الطفولةِ ، وانتهاءً بالنضجِ الكامل ..

.. في طفولةِ البشريّةِ ، أي في المرحلةِ الأولى من مرحلتي تـــدرّج الرســـالات السماويّة ، كانتْ صلاحيّةُ الرسلِ مُهَيمنةً على التفاعلِ بين مُتَّبعي رسالات تلـــكَ المرحلةِ من جهة ، وبين مناهج تلك الرسالات من جهةٍ أخرى ... الرسولُ في تلك المرحلة يقومُ مقامَ الأبوين بالنسبةِ للطفل .. فسواءٌ المنهج ، أم المُعجـــزةُ المُصـــدِّقَةُ لذلك المنهج ، يتعلّقان تَعَلُّقاً كاملاً بشخصِ الرسولِ في تلك المرحلة ..

.. فكما قُلنا لَمْ تنزلْ كتبٌ سماويّةٌ في المرحلةِ الأولى .. فالمرجعيّةُ لا تخرجُ عن شخصِ الرسول ، وهذا مِمَّا تحملُهُ كلمةُ ﴿ وَصَّى ﴾ في قولِه تعالى :

﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ﴾ [الشورى : ١٣]

.. فما شرعَهُ اللهُ تعالى بالنسبةِ لإقامةِ الدين وعدمِ التفرُّقِ فيـــه – في تلـــك المرحلة – كانَ من خلالِ ما وصّى به اللهُ تعالى شخصَ نوحٍ عليه السلام ..

.. والمعجزةُ أيضاً – في المرحلةِ الأولى – لَمْ تخرجْ عن شخصِ الرسولِ أيضاً .. فَمُعْجزَةُ نوحٍ عليه السلام هي عُمُرُه ، يقولُ تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت : ١٤] .. وسنرى – إنْ شاءَ اللهُ تعالى – أنَّ القرآنَ الكريمَ يُؤكِّدُ هذه الحقيقةَ من خلالِ كَوْنِ سورةِ نوحٍ مُكَوَّنةً من (٩٥٠) حرفاً مرسوماً .. كُلُّ حرفٍ يُقابلُ سنةً من سنيِّ لبثِه في قومِه ..

إذاً في المرحلةِ الأولى ، التصقَ المنهجُ والمعجزةُ بشخصِ الرسولِ الحاملِ للرسالةِ ..

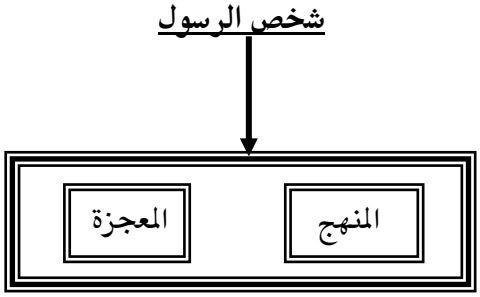

.. وبانتقالِ البشريّةِ من مرحلةِ الطفولةِ إلى مرحلةٍ أكثر نضجاً ، أي إلى الحلقة الأولى من المرحلة الثانية ، تمَّ الانتقالُ بالمنهجِ والمعجزةِ ، إلى منهجٍ ومعجزةٍ أكثر استقلاليَّة عن شخصِ الرسولِ الحاملِ للرسالةِ في تلك المرحلة .. فقد أُنْزِلَتْ كُتُبٌ سماويّةٌ ، ولكنّها لأقوامٍ مُحدَّدين ، وصالِحَةٌ لأزمنةٍ وأمكنةٍ مُحدَّدةٍ ، ولم تُلْغِ صلاحيّةَ الرسولِ في التشريع ، فَدَوْرُهُ في تبليغِ المنهجِ تَوَزَّعَ بينَهُ وبين الكتابِ السّماويِّ ..

.. ولذلك نرى أنَّ ما شرعَهُ اللهُ تعالى في الحلقةِ الأولى من المرحلةِ الثانية ، بالنسبةِ لإقامةِ الدينِ وعدمِ التفرّقِ فيه ، يأتي بصيغةِ الوصّيةِ لرسلِ تلك المرحلة ، ولكن ليس بصيغةِ الغائب والمفرد – كما هو الحالُ في المرحلةِ الأولى – إنّما بصيغةِ المتكلّمِ والجمع .. ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ﴾

[الشورى : ١٣]

.. فمناهجُ رسالاتِ الحلقةِ الأولى من المرحلةِ الثانية ، لها مُتَّبعون الآن ، وبالتالي تُناسِبُها صيغةُ المتكلّم .. بينما مناهجُ المرحلةِ الأولى لا يُوجَدُ لها الآن مُتَّبعون ، وبالتالي تُناسِبُها صيغةُ الغائب ..

... المنهجُ في الحلقةِ الأولى من المرحلةِ الثانية استقلَّ جزئيّاً عن شخصِ الرسولِ .. والمعجزةُ أيضاً استقلّت جزئيّاً عن شخصه .. ففي حين كانتْ المعجزةُ متعلّقةً بشخصِ الرسولِ في المرحلةِ الأولى ، أصبحتْ مستقلّةً عن شخصِهِ ، ولكنّها بقيتْ بيدِهِ .. فلا يستخدمُها إلاّ هو ، ولا تتجلّى إلاّ بين يديه ..

.. فعصا موسى عليه السلام ، غيرُ موسى ، ولكنّها لا تُستخدمُ – كمعجزةٍ – إلاّ من قِبَلِ موسى عليه السلام .. وإحياءُ الموتى بإذن اللهِ تعالى على يدِ عيسى عليه السّلام ، معجزةٌ ليست متعلّقةً بذات عيسى عليه السلام ، ولكنّها لم تحدثْ إلاّ على يديه .. وهكذا في الحلقةِ الأولى من المرحلةِ الثانية توزّعَ المنهجُ بين شخصِ الرسولِ وبين الكتابِ السماويّ ، وتوزّعت المعجزةُ بين شخصِهِ وبين الأداةِ الإعجازيّةِ التي أُيِّدَ بها ..

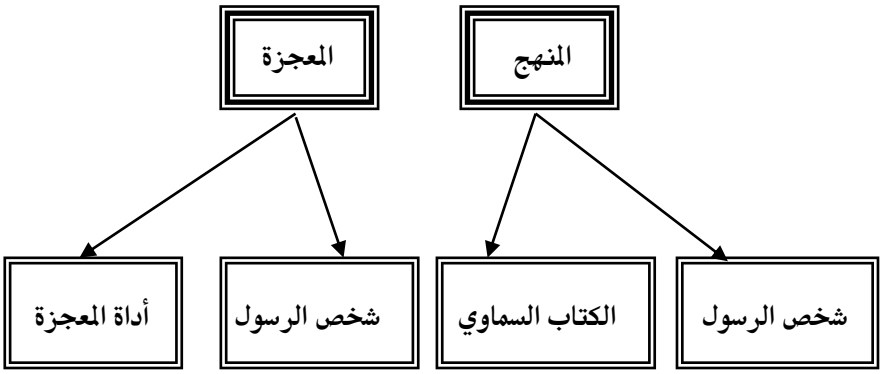

.. وحينما انتقلتْ البشريّةُ إلى مرحلةِ النضجِ في الحلقةِ الثانيةِ من المرحلةِ الثانية ، استقلّتْ المعجزةُ والمنهجُ استقلالاً كاملاً عن شخصِ الرسولِ ﷺ ، وتركّزَت المعجزةُ والمنهجُ في نصٍّ لُغَويٍّ مَصوغٍ من قِبَلِ اللهِ تعالى ..

.. ولذلك نرى أنَّ ما شرعَهُ اللهُ تعالى للبشريّةِ في الحلقةِ الثانيةِ من المرحلةِ الثانية من إقامةِ الدينِ وعدمِ التفرُّقِ فيه ، يأتي موصوفاً بكلمةِ : ﴿ وَٱلَّذِى ﴾ دون

كلمة : ﴿ وَمَا ﴾ ، وبصيغةِ الوحي ﴿ أَوْحَيْنَا ﴾ دون صيغةِ الوصيةِ ، وبصيغةِ المُتكلِّمِ والجمع ...

.. فالمنهجُ بيّنٌ ومحفوظٌ من قِبَلِ اللهِ تعالى ، وهو روحٌ ينتمي لعالَمِ الأمر ، وفوق التاريخ والمكان والزمان ، ومتركّزٌ في النصِّ القرآنيِّ المُوحى من اللهِ تعالى ، ولهُ مُتَّبِعون إلى قيامِ الساعة .. ولذلك نرى أنَّ الإشارةَ إلى الرسول ﷺ هي من خلالِ كلمةِ : ﴿ إِلَيْكَ ﴾ ، دون ذكرِ اسمه ﷺ ، في حين ذُكِرَت أسماءُ الرسلِ صراحةً في المرحلةِ الأولى ، وفي الحلقةِ الأولى من المرحلةِ الثانية ..

﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ ﴾

.. وجوهرُ حكمةِ هذا التدرُّجِ يقتضي ذلك .. فالحضارةُ تتطوَّرُ ، وحلُّ مشاكِلِها يتطلَّبُ استنباطاً مُستمرّاً للأحكام ، وبالتالي يتطلّبُ استقلالَ النصِّ عن إطارِ التاريخ ... ودورُ الرسولِ ﷺ هو إيصالُ هذه الرسالةِ إلى البشريّة ، وتبيانُ جزئيّاتِ كليّاتِ الشعائرِ التي يحملُها النصُّ القرآنيُّ .. فالمنهجُ بين يديِّ البشريّة ، والبشريّةُ مُطالبةٌ بتدبُّرِهِ واستنباطِ الدلالاتِ منه ، وكلُّ ذلك يقتضي استقلاليّةً عن شخصِ الرسولِ ﷺ ، واكتمالاً للمنهجِ في النصِّ القرآنيِّ ..

.. وكذلك الأمرُ بالنسبةِ للمعجزة .. فكونُ المنهجِ للبشريّةِ جمعاء ، ويتطلَّبُ تصديقُهُ معجزةً مستمرّةً إلى قيامِ الساعة .. كلُّ ذلك يتطلَّبُ استقلالَ المعجزةِ عن شخصِ الرسولِ ﷺ ، ووجودَها بين أيدي البشر في كلِّ زمانٍ ومكان ..

.. إذاً .. البشريّةُ في الحلقةِ الثانية من المرحلةِ الثانية ، حيث نَضَجَتْ فكراً وحضارةً ، تحتاجُ إلى منهجٍ ومعجزةٍ خارجِ إطارِ التاريخ وأشخاصِه ، وبالتالي داخلَ نصٍّ مُجرَّدٍ عن التاريخ ، مَصوغٍ من قِبَلِ اللهِ تعالى .. وهذا ما تحقَّقَ بتَنْزيلِ القرآن الكريم ..

الكتاب السماوي (القرآن الكريم)

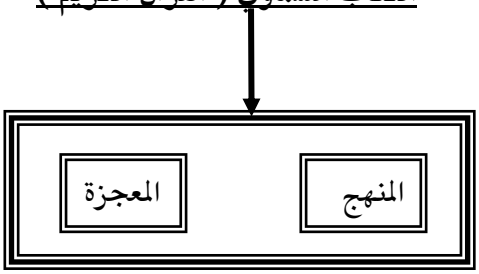

س ٧ : كيفَ يُعَبِّرُ القرآنُ الكريمُ عن كَوْنِ مُعجزتِه في ماهِيَّةِ الصِّياغَةِ اللُغويّة للنصِّ القرآني ؟ ..

.. لقد بيّنَ اللهُ تعالى هذهِ الحقيقةَ في القرآنِ الكريمِ ، من خِلالِ ثَلاثِ نِقاطٍ هامَّةٍ هِي :

(**أولاً**) – **النُّقطةُ الأولى** تَكْمُنُ في كَوْنِ القرآنِ الكريمِ قولَ اللهِ تعالى وكلامَهُ ، بينما الكُتُبُ السَّماويَّةُ الأُخرى هي كَلامُ اللهِ تعالى فقطْ ، وليستْ قَوْلَه ..... لإدراكِ هذهِ الحقيقةِ علينا أنْ نُدرِكَ الفارقَ بين الكَلامِ والقول ، حَسْبَ البيانِ القرآني ، لا حَسْبَ المُصطَلَحاتِ الوضعيَّةِ التي حُسِبَتْ على الإسلام .. وقد بيَّنتُ ذلكَ بِشكلٍ مُفَصَّلٍ في النظريّةِ الثالثة (الحقّ المطلق) ..

.. باختصارٍ شَديد .. الكلامُ هو المعنى الكائنُ في الذات .. والقَولُ هو صياغةُ هذا المعنى في قالبٍ لُغَوِيٍّ ، وذلكَ داخلَ هذه الذات .. واللفظُ هو إخراجُ الكلامِ المصُوغِ بقالبٍ لُغَوِيٍّ ، أي هُوَ إخراجُ القَولِ من الذاتِ إلى الخارجِ في عالمِ الحِسِّ والمادّة .. يقولُ تعالى : ﴿ **مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴾ [ق : ١٨] .. فالكلامُ ذاتُهُ يُمْكِنُ صياغتُهُ في أكثَرَ من قالبٍ لُغَوِيٍّ ..

.. الكُتُبُ السابقَةُ – جميعاً – هي مَعنىً منَ اللهِ تعالى ، أي هي كلامُ اللهِ تعالى .. ولكنّها من صياغةِ المخلوقات ، فالتوراةُ صاغَتْها الملائكةُ ، والإنجيلُ صاغَهُ عيسى عليه السلام ، شأنُهُ بذلكَ شأنُ الحديثِ الصحيحِ الذي نَطَقَ به الرسولُ ﷺ لِيُبيِّنَ كُلّيّاتِ النصّ القرآني .. إذاً الكُتُبُ السابقةُ كَلامُ اللهِ تعالى ، وقولُ

المخلوقات .. وبالتالي فَصياغَتُها اللُغويّةُ تَتَناسَبُ مَعَ عِلْمِ هذه المخلوقات ومَعَ قُدْرَتِها على صياغة ما علمَتْهُ .. ولذلك لَمْ يتحدَّ اللهُ تعالى البشرَ بأن يأتوا بنصٍّ مثلَ نُصُوصِ الكُتُبِ السَّماوِيَّةِ السَّابِقَة .. ولم يُبيِّنْ لنا اللهُ تعالى في كِتَابِهِ الكريمِ أنّ الكُتُبَ السَّماوِيَّةَ الأخرى من قولِهِ تعالى ..

.. بينما القرآنُ الكريمُ هو كلامُ الله تعالى (شأنُه بذلكَ شأنُ الكُتُبِ السَّماوِيَّةِ الأُخرى) ، وهو أيضاً قَوْلُ اللهِ تعالى ، فاللهُ تعالى هو من صَاغَ القرآنَ الكريم .. ولذلك يتحدَّى اللهُ تعالى الإنسَ والجِنَّ على أن يأتوا بِنَصٍّ كالنصِّ القرآني ..

.. يقولُ تعالى ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء : ٨٨]

.. وقد بيّنَ اللهُ تعالى أنّ القرآنَ الكريمَ قَوْلُهُ جلّ وعلا ، في أكثرَ من مَوضعٍ في القُرآنِ الكريمِ ذاته .. يقولُ تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون : ٦٨] .. ويقولُ تعالى : ﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ [المزمل : ٥] ... ويقولُ تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴾ [الطارق : ١٣ – ١٤]

(**ثانياً**) – **النُّقطَةُ الثانيةُ** التي بيَّنها القرآنُ الكريمُ أيضاً ، تكمُنُ في انفراد القرآنِ الكريمِ بالتنزيلِ من عندِ اللهِ تعالى (من الفعل نزَّلَ) ، في حين يَشْتَرِكُ معَ الكُتُبِ السماويَّةِ الأُخرى كونَه مُنْزَلاً من عندِ اللهِ تعالى (من الفعل أنزَلَ) ..

.. وقد بيّنتُ في النظريّةِ السادسةِ (سلّمِ الخلاص) الفارقَ بين الإنزالِ والتنزيل ، بشكلٍ مُفَصَّل .. وأقولُ الآن باختصارٍ شديد : إنَّ إنزالَ الأمرِ أو الشيءِ ((من الفعل : أنزلَ)) من ساحةٍ إلى ساحة ، يعني تَحَوُّلَهُ بما يُوافقُ قوانينَ الساحةِ التي أُنزلَ إليها ، لجعلِه مُسَخَّراً داخلَ إطارِ هذهِ الساحة ..

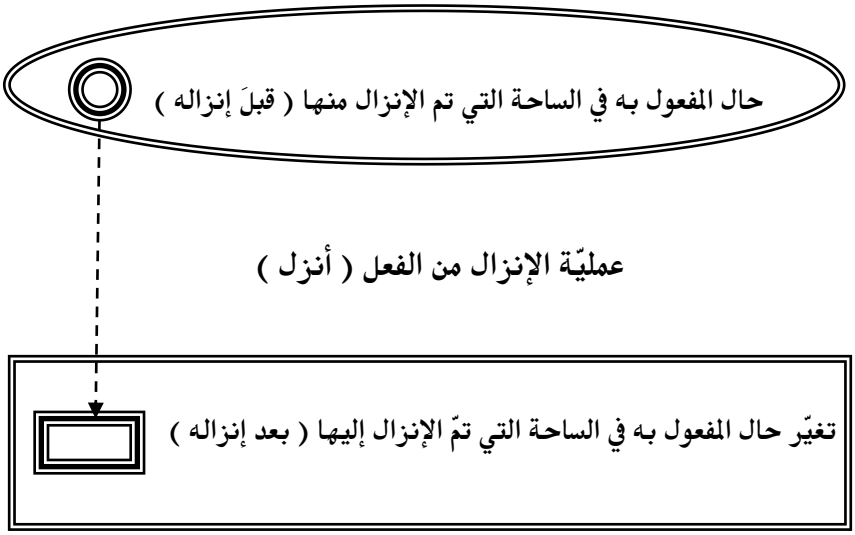

.. بينما تنزيلُ الأمرِ أو الشيءِ ((من الفعل نزّلَ)) من ساحةٍ إلى ساحة ، لا يعني تَحَوُّلاً في ماهيّةِ المُنَزَّل ، كما هو الحالُ في تحولِ ماهيّةِ المُنْزَل .. فالتَنْزيلُ يعني ثباتَ ماهيّةِ المُنَزَّل ما بين ساحتي التَنْزيل ..

.. فالقرآنُ الكريمُ انفردَ بالتنزيلِ من عندِ اللهِ تعالى ، وهناك الكثيرُ من الآياتِ الكريمةِ التي تُبيِّنُ ذلك ، منها على سبيلِ المثال : ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا** ﴾ [الإنسان : ٢٣]

.. وفي الوقتِ ذاته لا نرى نَصّاً قُرآنيّاً واحداً يُشيرُ إلى تنزيلِ أيٍّ منَ الكُتُبِ السماويَّةِ الأُخرى من عندِ اللهِ تعالى ..... وهناك نَصٌّ واحدٌ يُبيِّنُ تَنزيلَ التوراة ، ولكنْ بصيغةِ المبني للمجهول ، وذلك في قولِه تعالى : ﴿ **۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ** ﴾ [آل عمران : ٩٣] ..

.. وهكذا .. فما بينَ القَولِ الذي تحدّثنا عنه في النُّقطةِ السابقَةِ ، وبينَ التَنْزيلِ الذي نتحدَّثُ عنه في هذه النُّقطة ، رابطٌ يتعلَّقُ بكونِ القرآنِ الكريمِ مُعجزَةً مُلتحمةً بالمنهجِ ، ونصاً مَصُوغاً من عندِ اللهِ تعالى ، كما هو تماماً في اللوحِ المحفوظ ، دون أيِّ تحوّلٍ أو تغيير .. فالقرآنُ الكريم كما هو دون أيِّ تحوّلٍ نُزِّل

من اللوح المحفوظ بصياغته التي صاغهُ اللهُ تعالى بها .. وهنا مكمنُ مُعْجِزَتِه ، وانفرادِه عن باقي الكتبِ السماويّة ..

.. وما بين الكلامِ والإنزالِ ، رابطٌ يتعلّقُ بكونِ القرآنِ الكريمِ مَنهجاً يُريدُ اللهُ تعالى من البَشرِ أنْ يتّبعُوا أحكامَه التي يُبيِّنُها ويُسَخِّرُهَا بين أيدي العباد ..... ولذلك .. فالكُتُبُ السماويّةُ جميعُها دونَ استثناءٍ أُنزِلتْ مِنْ عندِ اللهِ تعالى كونَها مناهج عبادة ، في الوقتِ الذي ينفردُ فيه القرآنُ الكريمُ بالتنزيلِ من عندِ اللهِ تعالى ، كونَهُ معجزةً ملتحمةً بالمنهج ..... وفي النصَّين القُرآنيَّين التاليين أكبرُ دليلٍ على ذلك :

﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ [آل عمران : ٣] .. ويقولُ تعالى ..

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ﴾ [النساء : ١٣٦]

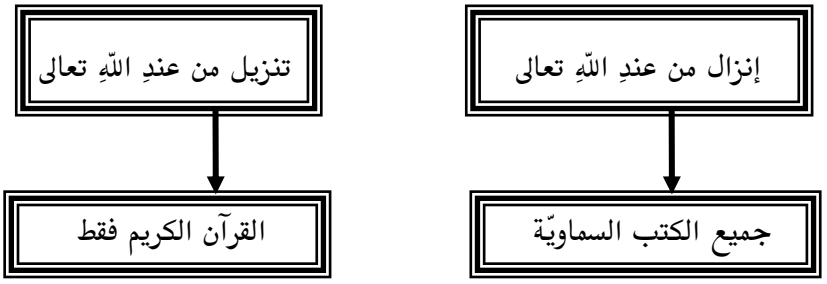

(**ثالثاً**) – **النُّقْطَةُ الثالثةُ** التي بيّنها القرآنُ الكريمُ أيضاً ، تكمُنُ في انفرادِ القرآنِ الكريمِ بِعُمقِ التأويلِ الذي لا يعلَمُهُ إلاّ اللهُ تعالى ...

.. لَمَّا كانتْ صياغةُ الكُتُبِ الأُخرى من المخلوقات ، ولمّا كانتْ قُدْرَةُ المخلوقاتِ مَحدودةً .. فهذا يعني أنّ الدلالاتِ التي يحمِلُها النصُّ في الكتبِ

السماويّة الأُخرى مَحدودةٌ ، ولذلك ... فالكُتُبُ السماوِيَّةُ الأخرى دلالاتُها – كَفِكْر – محدودةٌ وضمن إطارِ أزمنةٍ مُحدَّدة ..

.. ولما كانتْ صياغةُ القرآن الكريم مِنَ الله تعالى ، ولّما كانَ علمُ الله تعالى لا تُحيطُ به المخلوقات ، ونهايةُ قُدْرَتِه فوقَ حُدود إدراكِهم ، كانتْ الدلالاتُ التي يحملُها النصُّ القرآنيُّ لا متناهية ... ولا يُمْكِنُ للمخلوقاتِ أن تُحيطَ بها .. وقد بيَّن اللهُ تعالى في كتابه الكريم هذه الحقيقةَ .. يقولُ تعالى ..

﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَـٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ [الكهف : ١٠٩] .. ويقولُ تعالى ..

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [لقمان : ٢٧]

.. وبالتالي فالقرآنُ الكريمُ يحملُ تبياناً لكُلِّ شَيءٍ في هذا الكون .. يَقولُ تعالى :

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [النحل : ٨٩] ..... وهكذا ..

فالنصُّ القرآنيُّ ذاتُهُ يحملُ عُمقَين :

١ – يحملُ عُمقاً ظاهراً مُحْكَماً ..

٢ – يحملُ عُمقاً باطِناً مُتشابِهاً ، نِهايَتُهُ عُمْقُ التأويلِ الذي لا يعلَمُهُ إلاّ اللهُ تعالى .. يقولُ تعالى :

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [آل عمران : ٧]

.. فالذهابُ إلى تَجزئة نصوصِ القرآنِ الكريم إلى مُحْكَمٍ ومتشابه ، غيرُ صَحيح ، لأنَّ القُرآنَ الكريمَ بِكُلِّيَّته مُحكَمٌ .. يقولُ تعالى :

﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود : ١]

.. والقرآنُ الكريمُ بكلّيته يحملُ عُمقاً مُتشابهاً .. يقولُ تعالى :

﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ ﴾ [الزمر : ٢٣]

.. إذاً .. ينفردُ القرآنُ الكريمُ بعمقِ التأويلِ الذي لا يعلمُهُ إلاّ اللهُ تعالى .. وقد بيّن اللهُ تعالى هذه الحقيقةَ في مَكانٍ آخر .. يقولُ تعالى :

﴿ وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝٥٢ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ أَوۡ نُرَدُّ فَنَعۡمَلَ غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ قَدۡ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴾

[الأعراف : ٥٢ – ٥٣]

.. إذاً .. تأويلُ القرآنِ الكريمِ – حيثُ ينفردُ بهذه الصفةِ عن باقي الكتبِ السماويّة – لا يأتي إلاّ في الآخرة ..

س ٨ : تعريفُك للكلام والقول مختصرٌ جداً ، وبالتالي هو بحاجةٍ إلى المزيد من الأدلّة والبراهين التي توضّحُ ما ذهبت إليه في ذلك ..

.. التعريفُ السليمُ لأيِّ مسألةٍ من المسائلِ المحمولةِ بظاهر النصِّ القرآني ، هو التعريفُ المستنبطُ من النصوصِ القرآنيّةِ الحاملةِ للكلماتِ التي تصفُ تلك المسألة .. وتعريفُ مسألتي الكلامِ والقول ، يكون من خلالِ استشفافِ المعنى من النصـــوصِ القرآنيّةِ الحاملةِ للكلماتِ المتفرّعةِ عن الجذرين : (ك ، ل ، م) ، (ق ، و ، ل) ..

.. الكلمةُ تدورُ دلالاتُها في إطارٍ واسعٍ من المعنى ، يشملُ المعنى الكـــائنَ في الذاتِ المتكلِّمة .. يقولُ تعالى :

﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَـٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ [الكهف : ١٠٩]

.. فأقربُ ما تعنيه الكلماتُ هنا ، هو المعاني والدلالات الكائنةُ في عِلْـــمِ الله تعالى ..... وفي قولِه تعالى :

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَـٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾

[المؤمنون : ٩٩ – ١٠٠]

.. نرى أنَّ العبارةَ القرآنيّة **﴿ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ ﴾** تعني : كلاّ إنّهـــا دلالةٌ ومعانٍ يُريدُها القائلُ ، هو صائغُها وناطقٌ بها ..

.. والكلمةُ هي ماهيّةُ الصورةِ وجَوْهرُ المسألةِ التي تُريدُ الذاتُ المتكلّمةُ إيجادَها .. أي تتعلّقُ بمعنىً تُريدُه الذاتُ المتكلّمة ..

﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾

[آل عمران : ٣٩]

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ [آل عمران : ٤٥]

.. ولَمّا كانت الكلمةُ متعلّقةً بمعنىً تُريدُهُ الذات ، فإنَّ التعبيرَ بالرمْزِ – عند البشر – سبيلٌ للتعبير عن الكلام ، أي عن المعنى الكائن في الذاتِ المتكلِّمة ..

﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ ﴾ [آل عمران : ٤١]

.. أمّا القوْلُ فهو صياغةُ الكلمةِ بقالبٍ لغويٍّ داخلَ الذات عَبْرَ لغةٍ محدّدة ، وهذا ما يتجلّى في قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الأنفال : ٣١]

.. فالعبارةُ القرآنيّةُ ﴿ لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ﴾ تعني : لو نشاءُ لصغنا قولاً مثل هذا القول ..

.. والقولُ هو الصياغةُ اللغويّةُ للمعنى الكائنِ في الذات في قالبٍ لغويٍّ ، بغض النظر عن إخراج هذا القولِ خارجَ الذات .. فالقولُ قد يبقى داخلَ الذات ..

﴿ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [المجادلة : ٨]

﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ [طـه : ١٢٠]

.. وقد يخرجُ القولُ خارجَ الذات ليكون شاهداً على قائلِه ..

﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴾ [محمد : ٣٠]

.. إذاً .. القولُ مسألةٌ مجرّدةٌ عن خروجِهِ من النفس أو بقائِهِ داخلَ النفس ..

﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾ [الرعد : ١٠]

﴿ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [الملك : ١٣]

.. والقولُ هو مُجرّدُ الصياغةِ اللغويّةِ للمعنى الكائنِ في الذات ، بغضِ النظرِ عن إيمانِ الإنسانِ بهذا المعنى ، أم عن عدمِ إيمانِه به .. فقد يصوغُ الإنسانُ قولاً ويُخرِجُهُ من فمه ، في الوقت الذي يضمرُ في قلبه نقيضَ ما صاغَه ..

﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران : ٧٨]

﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾

[آل عمران : ١٦٧]

﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ ﴾ [المنافقون : ١]

.. إذاً .. الكلامُ : هو الدلالةُ والمعنى الكائنُ في الذاتِ المتكلّمة .. والقَوْلُ : هو صياغةُ هذا الكلامِ بقالبٍ لُغويٍّ عبر لغةٍ محدَّدة ..

.. فكلُّ كلمةٍ مقولةٍ ، تكون قد مرّت بمرحلتي الكلام والقول ، ووَصْفُها في كتابِ اللهِ تعالى ككلمة ، هو وصفها كمعنى ، ووصفها كقول ، هو وصفها كصياغةٍ بقالبٍ لغوي .. وهذان المصطلحان مُتداخلان فيما بينهما لدرجةٍ تختلطُ فيها على من لم يتّبعْ منهجَ البحثِ السليمِ في كتابِ اللهِ تعالى ، ذلك المنهجِ الذي يَعْتَبِرُ القرآنَ الكريمَ المعيارَ الأوّلَ والأخيرَ لِفَهْمِ دلالاته ..

.. وعلى الرُّغمِ من أنَّ المعنى المجرَّدَ للقوْلِ واحدٌ ، سواءٌ تعلَّقَ ذلك بالله سبحانَه وتعالى أم بالمخلوقات .. على الرُّغمِ من ذلك .. علينا أنْ نُدركَ الفارقَ بينَ قَوْلِ الله تعالى من جهة ، وبينَ قَوْلِ المخلوقات من جهةٍ أُخرى ، ذلك الفارق الذي يعود إلى الفارق بين الله تعالى وبين المخلوقات ، ولا يعودُ إلى القوْلِ كمعنىً مُجرّدٍ .. فالله سبحانه وتعالى يعلمُ علماً مُطلقاً حقيقةَ المعاني الكائنة في ذوات المخلوقات ، وعِلْمُهُ جلَّ وعلا أكبرُ من عِلْمِ تلك المخلوقات بالمعاني الكائنة في ذواتها ، وقدرتُهُ سبحانه وتعالى على صياغة هذه المعاني الكائنة في ذوات المخلوقات بقالبٍ لغوي ، هي قدرةٌ مُطلقةٌ ، أكبرُ من قدرة المخلوقات على صياغة المعاني الكائنة في ذواتها ..

.. من هُنا .. فقولُ الله تعالى قَوْلٌ مُطلقٌ يُصوِّرُ تصويراً مُطلقاً حقيقةَ المعاني والدلالات المحمولة في قَوْله جلَّ وعلا ، سواءٌ كانَ قَوْلُ الله تعالى صياغةً لمعانٍ يُريدُ جلّ وعلا نقلَها مباشرةً إلى المخلوقات ، أم كان قَوْلُ الله تعالى تصويراً لأحداثٍ وقَصَصٍ وقعت مع المخلوقات ..

.. ولتقريب هذه الحقيقة إلى أذهاننا .. لنتصوّر أنَّ شاعراً قال قصيدة .. هذه القصيدةُ هي صياغةٌ لُغويّةٌ بلغة ما ، للمعاني الكائنة في ذات الشاعر .. ولو نطقَ إنسانٌ آخر بهذه القصيدة بحرفيَّتها اللغويّة التي صيغَتْ بها ، لكان قد نقلَ نقلاً حرفيّاً الصياغةَ اللغويّةَ التي صاغَها الشاعرُ للمعاني الكائنة في ذاته ، أيْ لكان قد قالَ قَوْلَ الشاعر بحرفيّته ، بغضِّ النظر عن حدودِ إدراكه للمعاني الكائنة في ذات الشاعر ..

.. ولو لم ينطقْ هذا الإنسانُ هذه القصيدةَ بالحرفيّة ذاتها التي نطقها الشاعرُ ، إنّما نطقَها بالمعنى الذي أدركَه من هذه القصيدة ، لكان قد صاغ صياغةً لُغويّةً ما أدركه هو من معاني تلك القصيدة ، فقولُهُ في هذه الحالة لا يُطابقُ قولَ الشاعر ، وبالتالي فقولُهُ – في هذه الحالة – ليس قوْلَ قَوْلِ الشاعر ذاته ، إنّما هو قَوْلُ المعاني التي أدركَها من قَوْلِ الشاعر .. وقولُهُ – في هذه الحالة – كتعبيرٍ عن تلك القصيدة

، أدنى من قَوْلِ الشاعر ، لأنَّ الشاعرَ أعلمُ من غيرِه من المخلوقات بما في داخله من معانٍ صاغَها بتلك القصيدة ..

.. وربّما تكونُ هذه القصيدةُ مَصوغةً في لُغةٍ أُخرى ، ونريدُ نقلَها إلى لغتِنا ، حين ذلك نكون قد صغنا قولاً في لغتنا للمعاني التي أدركناها من تلك القصـــيدة ، وبالتالي لا نكونُ قد قلنا قَوْلَ الشاعر ذاته ، فمهما كنّا بارعين في القول لا نستطيعُ أنْ نقولَ القَوْلَ ذاتَه في لغةٍ أُخرى ..

.. لنتخيّل .. أنَّ اللهَ تعالى يُريدُ صياغةَ المعاني الكائنةِ في ذات الشاعر في قالبٍ لُغويٍّ ، حين ذلك سيكونُ قولُ اللهِ تعالى صياغةً مُطلقةً تتناسبُ مع قدرة اللهِ تعالى على الصياغة ، وذلك للمعاني الكائنة في ذات الشاعر والتي يعلمُها اللهُ تعالى علماً مُطلقاً أعظمَ بكثيرٍ من علْمِ الشاعر ذاته لتلك المعاني الكائنة في ذاتـــه .. وبالتـــالي سيكونُ قولُ اللهِ تعالى تصويراً مُطلقاً لا يزيد ولا ينقصُ عن حقيقةِ المعاني الكائنة في ذات الشاعر .. فالصياغةُ اللغويّةُ المفترضةُ مِنْ قِبَلِ اللهِ تعالى لتلكَ القصيدةِ أعلى من صياغةِ الشاعرِ ذاته لهذه القصيدة ، بنسبةٍ هي ذاتُها الفارقُ بين علْمِ اللهِ تعـــالى وعلمِ الشاعر للمعنى الكائن في ذات الشاعر ، وهي ذاتُها النسبةُ بين قدرةِ اللهِ تعالى على الصياغة وبين قدرة ذلك الشاعر ..

.. لذلك .. فالنصوصُ القرآنيّةُ التي تُصوِّرُ لنا قَوْلَ المخلوقات وتفاعلَها مـــع الأحداث في القَصَصِ القرآنيّة .. تلك المخلوقات التي لها لغاتُها المختلفة .. إنّمـــا تُصوِّرُها تصويراً مُطلقاً ، مَصوغاً صياغةً لغويّةً مُطلقةً للمعاني الكائنـــة في ذواتِ تلك المخلوقات ، وبالتالي ليس مهمّاً أن نعرفَ ماهيّةَ اللغةِ التي نطقتْ بها تلـــك المخلوقات ، فما ينقلُهُ اللهُ تعالى لنا هو الصياغةُ المطلقةُ لحقيقةِ المعـــاني الكائنـــةِ في ذواتِ تلك المخلوقات ، والتي يعلمها اللهُ تعالى علماً مُطلقاً أكبرَ بكثيرٍ من علـــمِ تلك المخلوقات بها ..

.. فعلى سبيلِ المثال .. في قصّةِ يوسفَ عليه السلام .. حيث يقولُ أخٌ من أخوة يوسف لأخوته : ﴿ ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا

﴿ شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَـٰفِظِينَ ﴾ [يوسف : ٨١] .. وذلك بأن ينقلوا لأبيهم قولَه ﴿ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَـٰفِظِينَ ﴾ ... حينما ينقلونَ لأبيهم هذا القول كما هو تماماً دون أيِّ تغييرٍ أو تبديل ، يكونون قد قالوه بالحيثيّة التي نطقَ بها أخوهم ، أي يكونون قد قالوا قَوْلَ أخيهم .. ﴿ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَـٰفِظِينَ ﴾ ..

.. ولكن .. إنْ صاغوا لأبيهم قَولاً من عندهم ينقلون به ما أدركوه من قولِ أخيهم ، حينئذٍ يكونون قد صاغوا في قالب لغويٍّ ما أدركوه من المعاني التي يحملها قولُ أخيهم ، ولا يكونون قد قالوا قَوله ، لأنهم – في هذه الحالة – قالوا معاني نُقلت إلى ذواتهم من قولِ أخيهم ..

.. إذاً .. اللغةُ والصياغةُ اللغويّةُ التي نراها في القرآن الكريم باللغة العربيّة الفطريّة ، والتي تُصوِّرُ أحداثاً قصصيّةً من التاريخ ، لا يُشترَطُ أن تكونَ هي بذاتها وبحرفيّتها نطقَ بها أشخاصُ تلكَ القَصَص ، فاللهُ تعالى ينقلُ لنا عبرَ صياغة لُغويّة مُطلقة حقيقةَ المعاني الكائنة في ذواتِ القائلين ، تلك المعاني التي يعلمُها اللهُ تعالى علماً مُطلقاً ..

.. فصياغةُ اللهِ تعالى للآيةِ الكريمة : ﴿ ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَـٰفِظِينَ ﴾ [يوسف : ٨١] ، هي صياغةُ اللهِ تعالى المُطلقةُ المتعلّقةُ بعلمه المُطلقِ وذلكَ للمعاني الكائنة في ذاتِ القائل ، تلك الصياغة التي لا يقدرُ عليها القائلُ ذاتُه ، فعلمُ القائل بالمعاني الكائنةِ في ذاته ، ليسَ كَعِلْمِ اللهِ تعالى بهذه المعاني ، وقدرةُ القائل على صياغة هذه المعاني ليست كقدرة اللهِ تعالى ..

.. إذاً .. في كلِّ القَصَصِ القرآنيّة يُصوِّرُ اللهُ تعالى لنا تصويراً مُطلقاً باللغة الفطريّة الكاملة التامّة الخالية من أيِّ عيبٍ أو نقص والموحاة من السماء ، يُصوِّرُ لنا – بها – حقيقةَ الأحداث والمعاني الكائنة في ذوات أشخاص تلكَ القَصَص ، تلك الأحداث والمعاني الكائنة في الذوات المخلوقة والتي يعلمها جلَّ وعلا علماً مُطلقاً .. ولذلك فالتصويرُ القرآنيُّ تصويرٌ مُطلقٌ لتلك الأحداث والقَصَص ..

.. لو أخذنا العبارةَ القرآنيّة : ﴿ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّۖ ﴾ ، وذلك منَ الآية الكريمة : ﴿ ۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلْ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ [يونس : ٥٣] ، لرأيناها قَوْلَ الله تعالى ، كوْنها جزءاً من آية كريمة في كتابِ اللهِ تعالى .. ولكنَّ هذه العبارة القرآنيّة كقولٍ لله تعالى ، نراها مسبوقةً بكلمة ﴿ قُلْ ﴾ .. فعندما يُخاطبُ الرسولُ ﷺ المشككين بصدقِ نزول القرآن الكريم من عند الله تعالى قائلاً لهم : ﴿ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّۖ ﴾ ، يكون بذلك قد نقلَ لهم قوْلَ الله تعالى الخاصَّ بهذا الأمر ، أي يكونُ قد قال لهم هذا القول كما هو تماماً دون تغييرٍ أو تبديل .. أي يكونُ قد قالَ لهم قَوْلَ اللهِ تعالى كما هو تماماً دون أيِّ تبديلٍ أو تغيير ..

.. وإنْ قال لهم قَولاً يصوغه هو للمعاني التي يُدركُها من هذه العبارة القرآنيّة ، فحينئذ لا يكون قد قالَ لهم قَوْلَ الله تعالى ، إنّما يكون – في هذه الحالة المفترضة – قد قالَ لهم قَوْلَه الذي صاغه ممّا أدركه من المعاني الكائنة في قَوْلِ الله تعالى ..

.. وكذلك الأمْرُ بالنسبةِ لقوْلِ الرسول ﷺ في ردّه على الكافرين : ﴿ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴾ [هود : ٣٥] ، فقولُهُ هذا ، هو نقلٌ حرفيٌّ لِقوْلِ الله تعالى الذي يأمرُ رسولَهُ بنقلِه إلى البشر .. ولذلك نرى هذه

العبارة القرآنيّة مسبوقةً بكلمة : ﴿ قُل ﴾ .. يقولُ تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴾ [هود : ٣٥]

.. وكذلك الأمرُ في إجابةِ الرسول ﷺ على مسألةِ الخمر والميسر : ﴿ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ ﴾ ، فهذا القوْل الذي يُؤمَرُ الرسولُ ﷺ بقوله للبشر ، هو نقلٌ حرفيٌّ دون أيِّ تبديلٍ أو تغييرٍ لقوْلِ الله تعالى حيث يأمرُ اللهُ تعالى رسولَهُ ﷺ بنقلِ هذا القولِ عبرَ كلمة ﴿ قُل ﴾ .. يقولُ تعالى :

﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [البقرة : ٢١٩]

.. إذاً .. النطقُ بالقوْلِ كما هو تماماً دون أيِّ تغييرٍ أو تبديلٍ في صياغته اللغويّة ، هو نَقْلُ هذا القَوْلِ من ساحة إلى ساحة ، أي هو قَوْلُ هذا القول في الساحة المنقول إليها .. والقرآنُ الكريمُ الذي صاغَهُ الله تعالى صياغةً مُطلقةً تحدّى بها الإنسَ والجنَّ على أن يصوغوا نصّاً من مثله :

﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾

[المؤمنون : ٦٨]

﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [ق : ٢٩]

﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ [المزمل : ٥]

﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴾ [الطارق : ١٣ – ١٤]

.. هذا القولُ الذي تمّت صياغتُه من قِبَلِ الذات الإلهيّة في ساحةٍ أعلى من عالميِّ الأمرِ والخلق ، قالَهُ كما هو تماماً دون أيِّ تبديلٍ أو تغيير ، الروحُ الأمين

الذي ينتمي إلى عالم الأمر ، أي نقلَه كما هو تماماً ، من الذات الإلهيّة ، إلى عالمه ، إلى الرسولِ محمّدٍ ﷺ كبشرٍ ينتمي إلى ساحةٍ أدنى هي عالمُ الخلق .. يقولُ تعالى :

﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ [التكوير : ١٩ – ٢١]

.. وهذا القوْلُ الذي تلقّاه محمّدٌ ﷺ من ساحةٍ أعلى ، وهي الساحةُ التي ينتمي إليها الروحُ الأمين عليه السلام ، قالَهُ ﷺ للبشر في ساحةٍ أدنى ، هي ساحةُ عالمِ الخلْقِ التي ينتمي إليها البشر ، أيْ قالَه ﷺ كما هو تماماً دون زيادة أو نقصان أو تغييرٍ في ماهيّة صياغته .. فقولُهُ ﷺ للقرآن الكريم هو نقلٌ كاملٌ دون تغييرٍ أو تبديلٍ أو تحويل للقولِ المنزّل إليه من ربِّ العالمين .. يقولُ تعالى :

﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ۝٤١ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٤٢ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

[الحاقة : ٤٠ – ٤٣]

.. فنحنُ عندما قُلنا : إنَّ القرآنَ الكريمَ يمتازُ عن الكتب السماويّة الأخرى بكونه قَوْلَ الله تعالى ، ويشتركُ معها بكونه كلامَ الله تعالى ، إنّما اعتمدنا بقولنا هذا على براهينَ مستنبطةٍ من كتاب الله تعالى .. فلو لم يكن القرآنُ الكريمُ قولَ الله تعالى الذي صاغَهُ سبحانَه وتعالى مباشرة ، صياغةً مُطلقةً تتعلّقُ بقدرته المُطلقة على صياغة المعاني التي يعلمها علماً مطلقاً ، لو لم يكن ذلك ، لَمَا تحدّى اللهُ تعالى الإنسَ والجنَّ على أنْ يأتوا بنصٍّ من مِثْلِ القرآن الكريم ، ولَمَا كان القرآنُ الكريمُ مُعجزةَ الرسالة الخاتمة للبشريّة إلى قيامِ الساعة ، حيث تلتحم المعجزةُ بالمنهجِ ، في ذات النصِّ القرآني ..... لو لم يكنْ القرآنُ الكريمُ قَوْلَ الله تعالى وصياغتَه المُطلقة ، لَمَا كُنّا سنرى ما سنراهُ إن شاءَ الله تعالى من معجزةٍ عدديّةٍ في هذا الحوار ..

س ٩ : تعريفكَ للإنزال والتنزيل يخالفُ الموروثَ التفسيريّ .. فكيفَ تُبرهنُ لنا من كتابِ الله تعالى ، على صحةِ ما ذهبتَ إليه في هذا الأمر ؟ ..

.. تُعريفُنا للإنزال والتنزيل مُستنبطٌ – أيضاً – من كتاب الله تعالى ، فالنصوصُ القرآنيّةُ الحاملةُ للفعل أنزلَ وتفرّعاته ، وللفعل نزّل وتفرّعاته ، سواءٌ ما يتعلّق بالقرآن الكريم أم بأيِّ مسألةٍ أُخرى ..كُلُّها .. تُؤكِّدُ صحّةَ تعريفِنا واستدلالنا ..

.. إنَّ إنزالَ الأمرِ أو الشيءِ من ساحةٍ إلى ساحة ، هو جَعْلُهُ مُسخّراً في إطارِ قوانين الساحة التي تمَّ الإنزالُ إليها .. يقولُ تعالى :

﴿ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ ﴾ [الأنعام : ١٤٢ – ١٤٤]

﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ ﴾ [الزمر : ٦]

.. إنَّ إنزالَ هذه الأزواجِ الثمانية من الأنعام ، هو تسخيرُها وتذليلُها بين أيدينا ، لجعلِها في متناول الفائدة .. أي هو إنزالُها من ساحةِ عدمِ التسخيرِ والتذليل إلى ساحة التسخير والتذليل ..

والرياحُ التي يُرسلُها اللهُ تعالى بشراً بين يدي رحمته لواقحَ للسحاب ، هي الآليّةُ التي يتمُّ بها استخراجُ الماءِ من السحاب ، وتحويلُهُ من حالتِهِ في السحاب إلى حالته كماءٍ مسخّرٍ للفائدة بين أيدينا .. ولذلك نرى صيغةَ الإنزال وليس التنزيل ..

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف : ٥٧]

﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَـٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَـٰزِنِينَ ﴾ [الحجر : ٢٢]

.. وإنزالُ الماءِ من الْمُزْنِ والْمُعْصِرات ، هو استخراجُهُ منها وتسخيرُهُ بين أيدينا ، أي هو تحويلُهُ من حالتِه في الْمُزن والْمُعْصِراتِ إلى حالته التي نستخدمُهُ بها ، ولذلك نرى صيغةَ الإنزال وليس التنزيل ..

﴿ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴾ [الواقعة : ٦٩]

﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴾ [النبأ : ١٤]

.. وإنزالُ الحديدِ هو تسخيرُهُ وتطويعُهُ بين أيدينا ليكون في ساحةِ الاستفادةِ والعمل ، سواءٌ كان ذلك في الصناعاتِ الحربيّةِ كبأسٍ بين البشر ، أم في الصناعاتِ السلميّةِ كمنافعَ للبشر ..

﴿ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾ [الحديد : ٢٥]

.. وإنزالُ اللباسِ لبني آدم هو تسخيرُهُ وتذليلُهُ بين أيديهم ، ليكون في متناولِ النفعِ والفائدة ..

﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٦]

وإنزالُ الملائكة بالحيثيّة التي يريدها الكافرون ، هو تحوّلُها بصورةِ عالَمِنا المادّي ..

﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان : ٧]

﴿ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان : ٢١]

﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾

[المؤمنون : ٢٤]

﴿ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُواْ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴾ [فصلت : ١٤]

.. وكلُّ المسائل المتعلّقة بالفعل أنزلَ وتفرّعاته في كتاب الله تعالى ، نستطيعُ إدراكَها من هذا المنظار ..

.. بينما تنزيلُ الأمْرِ أو الشيء ، نراه – في كتاب الله تعالى – لا يعني تحوّلاً في ماهيّة الْمُنَزَّل ، وهذا يختلفُ عن الإنزال الذي يعني تحوّلاً في الماهيّة بما يناسبُ الساحةَ التي تمّ الإنزالُ إليها .. وفي الآية الكريمة التالية بيانٌ يُؤكِّدُ هذه الحقيقة ..

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَـٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَـٰرِ ﴾

[النور : ٤٣]

.. إنَّنا لا نرى صيغةَ التنزيلِ في خروجِ الوَدْقِ من الركام : ﴿ فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَـٰلِهِۦ ﴾ .. بينما في مسألة المَطَر نرى صيغةَ التنزيل : ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ

﴿ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ ﴾ ، ففي هذه العبارة القرآنيّة ، نرى صورةً لتنزيلِ البَرَدِ من مراكزِ كثافةِ البَرَدِ في السماء ، كَوْنَه بَرَداً قَبْلَ تنزيله وبعدَ تنزيله ، وليس كَوْنَه مُستخرَجاً من حالة أُخرى .. فمراكزُ كثافةِ البَرَدِ موجودةٌ في السماء ، ومنها يُنَزَّلُ البَرَدُ بماهيّته كَبَرَد .. وهذا ما تُناسبُه صيغةُ التنزيلِ وليس الإنزال ..

.. وهذه الحقيقةُ نراها جليّةً في الآيةِ الكريمة ..

﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾

[الأنفال : ١١]

.. فالماءُ الْمُنَزَّلُ هنا للتطهير ، يُصوِّرُهُ الله تعالى دون آليات تحويلِه واستخراجِه من ماهيّةٍ أُخرى ، أي يُصوِّرُه كتنزيلٍ وليس كإنزال ..

.. والقرآنُ الكريمُ حينما يُصوِّرُ لنا الملائكةَ من زاويةِ عدمِ تغيّر ماهيّتها قبلَ التنزيلِ وبعدَه ، نراه يصوّرُها لنا بصيغةِ التنزيل ..

﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴾ [الفرقان : ٢٥ – ٢٦]

.. وتتنزَّلُ الملائكة بالروح من أمر الله تعالى على قلوب بعض البشر ، لا يعني تغيّرَ ماهيّتها ، ولا يعني تمثّلها لصورِ عالمنا المادّي ..

﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾ [النحل : ٢]

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [فصلت : ٣٠]

﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ [القدر : ٣ – ٤]

.. إنّ تنزيلَ الملائكة بماهيّتها الملائكيّة دون أيّ تمثّلٍ بصور عالمنا المـادّي ، لا يكون إلاّ إذا كان في الأرض ملائكةٌ يمشون ..

﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾ [الإسراء : ٩٥]

.. فتنزّلُ الملائكة بماهيّتهم الملائكيّة دون تحوّلٍ إلى صورِ عالَمنـا المـاديِّ ، يجعلُهم غيرَ مُنظَرين ..

﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٧ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴾ [الحجر : ٦ – ٨]

.. وهذا الفارق بين الإنزال والتنزيل نراه جليّاً في مسألة المائدة التي طلبها الحواريّون من عيسى عليه السلام ، فقد طلبوا مائدةً وفقَ نواميسِ السماء وليس وفقَ نواميسِ الأرض ، أي طلبوا مائدةً من السماء دون تغييرٍ وتحوّلٍ في ماهيّتها ، ولذلك طلبوها بصيغة التنزيل وليس الإنزال ..

﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة : ١١٢]

.. وعيسى عليه السلام أدركَ حقيقةَ طلبِهم ، وما يترتّب عليه من عـذاب في حال كُفْرِهم بعد تنزيلها ، لأنَّ تنزيلَها بصيغة التنزيل يعني آيةً كاملـةً بنـواميسِ السماء ، يقتضي الكفرُ بعدها عذاباً كبيراً ... ولذلك ... قال لهم عليه السلام : ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ .. وبناءً على ذلك طلبَ عيسى عليه السـلام

مائدةً من السماء بتحويلها إلى نواميسِ الأرض ، بتغييرٍ وتحوّلٍ في ماهيّتها ، ولذلك طلبَها بصيغة الإنزالِ وليس التنزيل ..

﴿ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [المائدة : ١١٤]

.. ولكنَّ الردَّ الإلهيَّ جاء بتنزيلِ هذه المائدةِ كما طلبَ الحواريّـــونَ دون أيّ تغييرٍ في ماهيّتها ، ليترتّب على الكفر بعد تنزيلها عذابٌ لا يذوقُهُ أحدٌ من العالمين ، ولذلك يصوّرُ القرآنُ الكريمُ ذلك بصيغة التنزيل ..

﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [المائدة : ١١٥]

.. وتتجلّى هذه الحقيقةُ أيضاً في إنزال المنّ والسلوى وتنزيله على بني إسرائيل .. فمسألةُ المنِّ والسلوى وردتْ في كتابِ الله تعالى ثلاثَ مرّات ، منهـــا مرّتـــان تتعلّقُ بصيغةِ الإنزال ، ومرّةٌ واحدةٌ تتعلّقُ بصيغة التنزيل .. فما الحكمةُ في ذلك ..

.. لقد وُصِفَ المنُّ والسلوى في كتاب الله تعالى بصيغةِ التنزيل ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴾ ، في سياقٍ قُرآنيٍّ يُصوِّرُ ما قَبْل معصيةِ بني إسرائيل واتّخاذِهم العجل ، وبإمكان أيِّ إنسانٍ أن يعودَ إلى سورة (طـــه) ليرى هذه الحقيقة ..

.. وهذا الوَصْفُ هو وصفٌ للمنِّ والسلوى بالماهيّة التي نُزِّلت بها تماماً ، دونَ أيِّ تحويلٍ أو تبديل ، ولذلك نرى أنَّ العباراتِ القرآنيّةَ التاليةَ مباشـــرةً للعبـــارةِ القرآنيّة : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴾ لا تحملُ ما يُشيرُ إلى ظلمٍ قد وقع ، كما هو الحال في العبارتين القرآنيّتين المصوِّرتين لإنزالِ المنّ والسلوى ..

.. فالطغيانُ والظلمُ الناتجُ عن معصيةِ بني إسرائيل لله تعالى واتّخاذهم العجل ، والذي يؤدّي إلى غضبِ الله تعالى ، لم يكن واقعاً حسبَ السياقِ القرآنيِّ السابقِ

لِهذهِ العباراتِ القرآنيّة .. وتصويرُ وقوعِه نراه بعدَ العبارةِ القرآنيّة ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴾ .. ولذلك فمسألةُ المنِّ والسلوى المُصوَّرَةُ بهذا السياق ، ما زالت كما هي دون أيِّ تحويلٍ أو تغيير ، ولذلك تُوصَفُ بصيغةِ التنزيل وليس بصيغةِ الإنزال ..

﴿ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴾

[طـه : ٨٠ – ٨١]

.. أمّا في السياقِ القرآنيِّ الذي يُصوِّرُ مرحلةَ ما بعدَ معصيتِهم واتّخاذِهم العجلِ ، فإنّنا نرى مسألةَ المنِّ والسلوى بصيغةِ الإنزال ، وبإمكان أيِّ إنسان أن يعودَ إلى سورتي البقرةِ والأعراف ليرى هذه الحقيقة ..

.. وهذا التصويرُ بصيغةِ الإنزال يُبيّنُ لنا التغييرَ والتحوّلَ في ماهيّةِ المنّ والسلوى إلى ما هو أدنى .. فالسياقُ القرآنيُّ الذي يصفُ معصيتَهُم واتّخاذَهُم العجل ، هو سياقٌ سابقٌ لهاتين العبارتين القرآنيّتين ، ولذلك فهاتان العبارتان القرآنيّتان تُصوِّران مسألةَ المنِّ والسلوى في سياقِ ما بعد اتّخاذِهم العجل .. ولذلك نرى خلفَ العبارتين القرآنيّتين ﴿ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ ﴾ [البقرة : ٥٧] ، ﴿ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ ﴾ [الأعراف : ١٦٠] .. نرى العبارةَ القرآنيّة : ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ ..

﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [البقرة : ٥٧]

﴿ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف : ١٦٠]

.. فالظلْمُ والطغيانُ الذي حذَّرهم الله تعالى من الوقوعِ فيه ، في السياقِ التالي مباشرةً للعبارةِ القرآنيّةِ المصوِّرةِ لتنزيل المنِّ والسلوى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴾ [طـه : ٨٠ – ٨١] .. هذا الظلمُ من معصيةٍ واتّخاذٍ للعجْلِ ، يُصوِّرُهُ اللهُ تعالى في السياقِ السابقِ للعبارتين المصوِّرتين لإنزالِ المنِّ والسلوى ، وفي هذا بيانٌ على أنَّ مسألةَ المنِّ والسلوى أُنزلَتْ بعد أن كانتْ مُنزَّلة ، أي تغيّرت ماهيّتُها وحُوِّلَتْ عن ماهيّتها التي نُزّلت بها ..

.. وكما قلنا .. لم تقترن تفرّعات الفعل نزّلَ من بين الكتبِ السماويّة ، كتنزيلٍ من عند الله تعالى ، إلاَّ بالقرآنِ الكريم ، وذلك لكونِ القرآنِ الكريم ينفردُ بكوْنه معجزةً نازلةً من السماء دون أيِّ تحويل أو تبديل ، ولذلك لا تستطيعُ المخلوقاتُ الإتيانَ بمثلها .. وهناك ارتباطٌ واحد بالتوراة ، ولكن بصيغة المبني للمجهول ، كما بيّنا سابقاً ، وهذا يتعلَّقُ بتنزيلِ التوراةِ كصياغةٍ لُغويّةٍ من عندِ الملائكة ..

﴿ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [آل عمران : ٩٣]

.. وفي الوقت ذاته نرى تفرعات الفعل أنزل تتعلّقُ بالكتب السماوية بما فيها القرآن الكريم ، وذلك لكونِها مناهجَ مُيَسَّرةً بين أيدي المُكلّفين ..

.. إذاً الكتبُ السماويّةُ جميعاً بما فيها القرآن الكريم ، أنزلت مناهجَ مُيسّـــرةً للفهم والإدراك بين أيدي الْمُكلّفين .. بينما ينفردُ القرآنُ الكريمُ بتنزيلِهِ معجزةً من عندِ اللهِ تعالى يتحدّى بها الإنسَ والجن ..

.. ولذلك في كلِّ عبارة قرآنيّة ، علينا أن نُميِّز بين وجهين اثنين :

(١) – وجه الإنزال للمنهج ، وهو وجهُ الدلالاتِ الظاهرة للنصِّ القرآني ..

(٢) – وجه التنزيل للمنهج الملتحم بالمعجزة ، وهو وجهُ الدلالاتِ الباطنة للنصِّ القرآني ، والذي يحمل لا نهاية من الدلالات ، التي نهايتها عمقُ التأويلِ الذي لا يعلمُهُ إلاّ اللهُ سبحانه وتعالى ..]]] .. **انتهى الاقتباس** ..